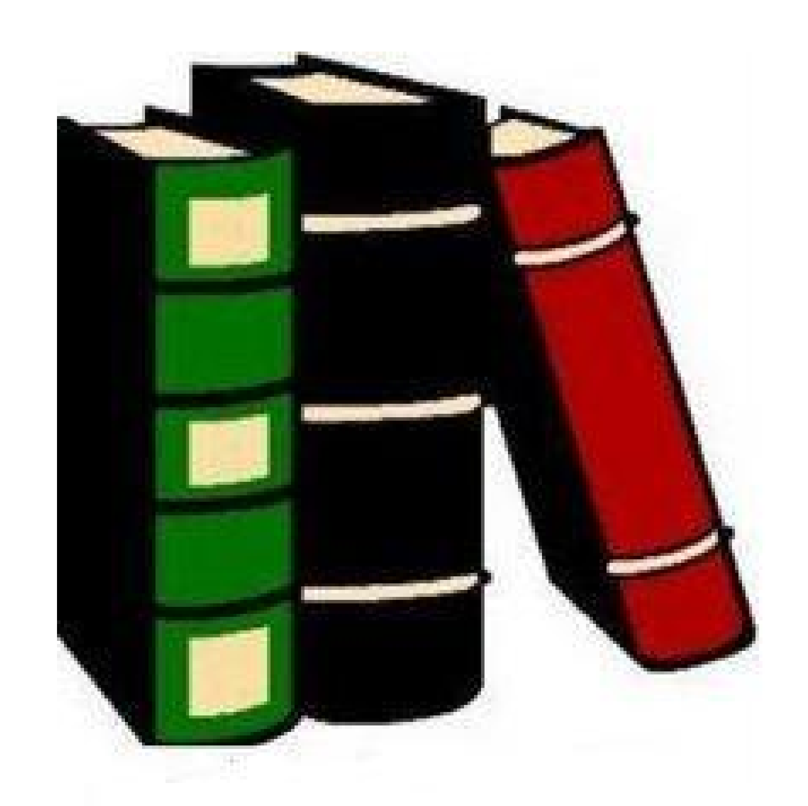
مذكرات ضابط عثماني في نجد

الأوضاع العامة في منطقة نجد

حسين حسني

ترجمة وتعليق د. سهيل صابان

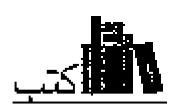


حسين حسني

مذكرات ضابط عثماني في نجد

الأوضاع العامة في منطقة نجد

ترجمة وتعليق د. سهيل صابان



تمهيد

نجد في الدراسات العثمانية والتركية

تحتل نجد حيزاً جيداً في وثائق الأرشيف العثماني باستانبول، ولا سيما فيما يعود لتاريخ الدولة السعودية الأولى، والثانية، والثالثة في بدايات عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. وهذه الوثائق التي تتناول مختلف مناحي الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمنطقة نجد، تضم بين جنباتها العديد من الخطابات العربية المرسلة من الأمراء وأعيان المنطقة وشيوخ بعض القبائل، إلى الباب العالي. وعلى سبيل التمثيل هناك مئات الوثائق المتعلقة بتاريخ الملك عبد العزيز في الأرشيف العثماني.[1] كما أن هناك الكثير من التقارير العسكرية والإدارية عن الأوضاع العامة في منطقة نجد في دور الأرشيف العثمانية والتركية. لا مندوحة للباحثين المتخصصين في تاريخ نجد من العودة إليها في توثيق معلوماتهم التاريخية.

أما المصادر العثمانية المتعلقة بهذا الإقليم فهي – على الغالب – لا تعدو إشارات عابرة، لا تتجاوز صفحة أو صفحات من مصادر التاريخ العثمانية. منها على سبيل التمثيل: تاريخ جودت لمؤلفه أحمد جودت باشا[2]، الذي ركز على الجانب السياسي لمنطقة نجد[3]؛ وتاريخ لطفي الذي أورد معلومات عن عزم شريف مكة المكرمة في التوجه إلى نجد لمواجهة الأمير فيصل بن تركي[4]؛ وتاريخ وهابيان لأيوب صبري باشا[5] الذي سرد تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ ومسألة منطقة نجد لفخر الدين روم بك أغلو[6] الذي ركز على تاريخ الدولة السعودية الثانية والثالثة في بدايات عهد الملك عبد العزيز رحمه الله بشكل مقتضب. وغني عن البيان أن هذه الكتب كلها تورد وجهة النظر العثمانية في تحليل تاريخ نجد،

---

(1) انظر على سبيل التمثيل: جوانب من تاريخ الملك عبد العزيز في الوثائق العثمانية. – مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. – ع2، مج 4 (رجب – ذو الحجة 1419هـ). ص 109-147.

(2) توجد في القاعة العثمانية والتركية بمكتبة الملك فهد الوطنية طبعتان نادرتان من تاريخ أحمد جودت باشا (الطبعة الأولى: 1271هـ؛ الطبعة الثانية 1309هـ). وهو يقع في اثني عشر جزءاً في ستة مجلدات.

(3) للتفصيل انظر: الجزيرة العربية في الكتب العثمانية والتركية – سهيل صابان. – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1417هـ. ص8-14.

(4) تاريخ لطفي. لمؤلفه أحمد لطفي أفندي. نشره: عبد الرحمن شرف. – إستانبول: 1290هـ: 147-148-165.

(5) تاريخ وهابيان- أيوب صبري باشا. – إستانبول: قرق أنبار مطبعه سي، 1296هـ. وقد أعيدت طباعته باللغة التركية من دار بدر باستانبول في 1992م.

(6) وعنوانه باللغة العثمانية: نجد قطعه سي مسأله سي- فخر الدين روم بك أغلو ومحمد نابي. – إستانبول: المطبعة العامرة، 1334هـ.

وإيراد العلاقات العثمانية – السعودية من خلالها. ولابد لدراسة تاريخ هذا الإقليم من الاطلاع على هذه المصادر العثمانية، التي تعد مصادر أولية للباحثين الاتراك، وذلك لمعرفة وجهة النظر العثمانية إلى أحداث المنطقة، بعدّها مصادر أولية.

أما المصادر التركية فهي بالمقارنة بكتب التاريخ العثمانية الرسمية أكثر، وإن كانت تعوّل على المصادر العثمانية ووثائق الأرشيف العثماني. منها على سبيل التمثيل: التاريخ العثماني المفصل الذي أعد من لدن لجنة[7] والذي ركّز على ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ والدفاع عن المدينة المنورة لناجي كاشف كجيمان،[8] الذي أورد معلومات عن نجد والحجاز في بدايات الحرب العالمية الأولى؛ ونجد والأحساء في الحكم العثماني لزكريا كورشون[9] وهو أحدث كتاب عن تاريخ نجد في العهد العثماني وأشمله باللغة التركية[10] وقد تناول تاريخ العلاقات الثنائية بين الدولة العثمانية والدولة السعودية في مراحلها الثلاث. وهناك مواد خاصة بنجد في بعض دوائر المعارف التركية العامة والخاصة[11]، كما أن هناك العديد من المقالات العلمية المتعلقة بتاريخ نجد في مجلات تركية محكمة، منها على سبيل التمثيل: عدة لوائح لمدحت باشا عن نجد والمناطق المجاورة له[12]، إلخ

---

(7) وعنوانه باللغة التركية: Mufassal Osmanli Tarihi.-Istanbul: Guven yay. 1962

(8) وعنوانه باللغة التركية: Medine Mudafaasi/Naci Kasif Kiciman.-Istanbul: Sebil yay. 1994

(9) وعنوانه باللغة التركية: Necid ve Ahsa'da Osmanli Hakimiyeti/Zekeriya Kursun.-Ankara: Turk Tarih Kurumu, 1998

(10) نجد والأحساء في الحكم العثماني لزكريا كورشون – سهيل صابان.- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.- ع 1، مج 7 (المحرم – جمادى الآخرة 1422هـ/أبريل– سبتمبر 2001م)، ص 282-288

(11) للتفصيل انظر: الملك عبد العزيز في الوثائق العثمانية والمصادر التركية – سهيل صابان.- مجلة الدرعية.- ع 3-4، س1 (رجب – شوال 1419هـ)، ص 407-435

(12) وعنوانه باللغة التركية: Midhat Pasa'nin Necid ve Havalisi ile Ilgili Bir Kac Leyihasi/Yusuf Halacoglu.- Istanbul Universitesi Tarih Enstitusu Dergisi.-Vol 3, 1972 .p.149-176

حسين حسني وكتابه:
الأوضاع العامة في منطقة نجد[13]

أ- المؤلف حسين حسني بن مصطفى

لم يجد الباحث ترجمة وافية للمؤلف حسين حسني بن مصطفى، خلال ما وقف عليه من كتب التراجم العثمانية والتركية. إلا مقتطفات يسيرة من حياته في كتابه الذي بين أيدينا "الأوضاع العامة في منطقة نجد"، وكذلك عدة وثائق عثمانية عن تركه للخدمة العسكرية في نجد.[14]

فمما ذكره المؤلف في هذا الكتاب أنه تخرج من الكلية الحربية في استانبول، وأنه عُين برغبة منه في الجيش العثماني السابع باليمن. وعمل فيه إحدى عشرة سنة، قدم خلالها خدمات متميزة، وأظهر تفوقه على أقرانه في المهمات التي عهدت إليه. ثم أرسل إلى بور سعيد للعمل في مينائها. ونقل بعد مدة للجيش السادس الموجود في البصرة. وعمل مدة في اليمن. ثم أرسل إلى منطقة نجد. وأصبح قائداً لقوة القصيم المتنقلة ، بعد مقتل قائدها حسن شكري بك في المعركة التي وقعت بالقرب من البكيرية عام 1322هـ/ 1906 م.[15] وبقي فيها أكثر من سنة ونصف. ثم عندما رأى أنه لا يستطيع القيام بعمله كقائد، خاصة في تحقيق ما كان يصبو إليه من إصلاح ذات البين، بين القوات المتخاصمة في منطقة نجد، فر من الجيش بمساعدة "صالح المهنا" في الرابع من تشرين الأول من العام المالي 1321 (20 شوال 1323 هـ/ 17 كانون الأول1905م). بعد أن مكث في القصيم يومين، متجهاً إلى الكويت. والتقى فيها بالقائمقام "مبارك الصباح"، ومن هناك اتجه إلى المحمرة، حيث قابل نائب "خزعل خان" – حاكم المحمرة –، ومنها إلى بومباي، التي وصلها في الخامس من تشرين الثاني من العام المالي 1321 [1323هـ/ 1905م]. وبذلك ترك الحياة العسكرية التي قضى فيها إحدى وعشرين سنة، طاف خلالها مختلف مناطق الجزيرة العربية.

ومما يظهر من مقدمة الكتاب أن المؤلف كتبها في مصر، حيث أشار إلى ذلك في نهاية المقدمة وذلك في عام 1324 هـ/ 1906م، مما يدل على انتقاله إليها، بعدما مكث في الهند فترة من الزمن.

---

(13) سبق أن نشرنا مقالاً موسعاً عن هذا الكتاب بعنوان: دراسة لكتاب عثماني (تركي) ومؤلفه عن الأوضاع العامة في منطقة نجد.– مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.– مج2، ع2 (رجب – ذو الحجة 1417هـ/ نوفمبر 1997م). ص 156-187

(14) الجزيرة العربية في أعمال مؤلفين عثمانيين – سهيل صابان.– مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.– مج6، ع2 (رجب – ذو الحجة 1421هـ/ أكتوبر 2000م). ص 224-243

(15) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV. 262/135

إذ تذكر وثيقتان من وثائق الأرشيف العثماني[16] أنه بعد انتقاله إلى القاهرة عُيّن ضابطاً في الأمن العام بها. ومن هناك أرسل استقالته من الجيش العثماني إلى الباب العالي، مشيراً فيها إلى الأسباب التي أدت به إلى فراره من الخدمة العسكرية. وقد يكون سافر من هناك إلى إستانبول، إذ طبع فيها كتابه الذي بين أيدينا. أو أنه أرسله إلى أحد زملائه، فطبع له الكتاب. غير أنني أرجح رجوعه إلى استانبول في خضم الأحداث التي تعرضت لها الدولة العثمانية في الفترة الأخيرة من حياتها، حيث انتقل الحكم إلى الاتحاد والترقي، وتغيّرت معالم الحكم في الدولة.

ولقد أصدرت قيادة الجيش العثماني أمرًا بالقبض عليه في المعروض الذي رفعته إلى الصدر الأعظم في الثالث من جمادى الآخرة عام 1324هـ/25 تموز 1906م. وفيما يلي الترجمة الكاملة للوثيقة المتضمنة لذلك المعروض، والموجودة في تصنيف يلدز المذكور:

القيادة العسكرية
المكتب الخاص

سيدي صاحب الدولة؛

بناءً على إشعار قيادة الجيش العثماني في القصيم، وجوابًا على الاتصالات التي سبق أن أجريناها بشأن المقدم في الكتيبة النظامية الثانية والأربعين الذي وجهت إليه رتبة القائمقامية، والمنسوب للجيش الهمايوني السادس المساق إلى القصيم حسين حسني بك الذي ارتكب عار الفرار؛ فقد أشارت البرقية الواردة من القيادة المذكورة أن المذكور فرّ إلى الكويت ومنها انتقل إلى المحمرة ثم توجه إلى مصر عن طريق بومباي، ويعمل الآن في قيادة الشرطة بالقاهرة، وذلك بناءً على الأخبار الواردة من هناك. وبما أن هذه الحركة المستنكرة التي قام بها تستوجب العقاب الصارم، بموجب المادة الثانية والثلاثين بعد المائة من قانون العقوبات العسكرية الهمايونية، فإنه قد تقرر الحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر مع نزع رتبه العسكرية واسترداد الأوسمة والنياشين التي حصل عليها، وطي قيده من السجلات العسكرية، وذلك بناءً على القرار الصادر من لجنة المحاكمة المتضمن موافقة حضرة الخليفة عليه، والموضوع معروض على معاليكم. ولا شك أن الأمر السامي في هذا وفي كل الأحوال سوف يتم تنفيذه، والأمر والفرمان لحضرة من له اللطف والإحسان.

3 جمادى الآخرة 1324هـ الموافق 12 تموز 1322 (رومي)
(التوقيع) قائد الجيش

---

(16) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV. 289/91, 276/124

أما الوثيقة التي تتناول معروض حسين حسني بن مصطفى الذي بعثه إلى ولاية البصرة، يعرض فيها أوضاع الجيش العثماني في القصيم، وحالة البؤس وضنك العيش الذي مر بهم، وما ينتظرونه من الباب العالي القيام به إزاء الكتائب الأربعة المرسلة إلى القصيم، أثناء وجود حسين حسني فيها، فترجمته على النحو الآتي:

قصر يلدز الهمايوني
دائرة الكتابة الأولى
البرقية المشفرة الواردة من البصرة
البرقية الواردة اليوم من حسين حسني بك قائمقام القوات السيارة (المتنقلة) في الكهفة ببلاد القصيم، 8 تموز 1321 (رومي)

والي البصرة وقائدها
الفريق المخلص

إلى دائرة الكتابة الأولى في المابين الهمايوني، لتقديمها إلى القائد العام صاحب المقام الرفيع: لقد توجهت عساكر الدولة العلية – الذين ضحوا بحياتهم في سبيل وظيفة قدسية ومرضاة جانب الخليفة – بأربع كتائب إلى القصيم تحت إمرة الأمير ابن الرشيد بغية تسكين ما يدور فيها، تنفيذًا لأوامر حضرة الخليفة حيث تم التوجه إلى بلاد القصيم في شهر مايو. وقد أظهر جنود الدولة العلية في المصادمات التي جرت في المنطقة بطولات وخدمات وتضحيات، مع إظهار حسن نيات، وبالمقابل فقد تبين أن المعاملة التي رأوها من الأمير منذ اثني عشر شهرًا، كانت سببًا لإفناء العساكر. ولسد رمق العيش بصبر وثبات بعد التعرض للجوع والهلاك، اضطررنا لأكل الجراد، وقد أدى هذا الوضع إلى موت أكثر من خمسمائة نفر من العساكر. كما أن التأثير الذي أحدثته تلك الأوضاع السيئة أدى إلى فرار ما يقرب من ستمائة شخص وانتشارهم في الصحارى القاحلة، حيث نجا منهم فقط أربعون أو خمسون نفرًا. وأصبحت أجسام البقية مأكلاً للطيور والوحوش. كما أن الحكايات التي تداولها المتجولون في الصحارى عن أولئك بكل افتخار حيرت الجميع. وبما أن هذه الأوضاع الأليمة قد تم عرضها على حضرة المشير باشا، فقد سيقت مائة وخمسون جملاً من المواد التموينية وسلمت لوكيل الأمير. غير أنه بوصول المشير إلى

القصيم تبين أنها أيضًا نهبت. وقد كنا نبلغ الأمير بأن أحد عشر شخصًا أو اثني عشر شخصًا من العساكر يموتون يوميًا من الجوع. ومع أننا كنا ننتظر منه أن يقدم شيئاً لجنود الدولة العثمانية وهم مدار افتخاره، وما قدموا إلا لتوفير الرفاه والسعادة له، نراه لا يكتفي بعدم التعاون معهم، بل يضيف إليه الاحتقار والشدة، مما أدى إلى ضياع الكثيرين منهم وهلاكهم حتى نزل عدد الكتائب الأربع اليوم إلى مائتين وعشرين نفرًا، بعدما كان عدد الواحدة منها فوق خمسمائة نفر، وذلك أثناء قدومهم إلى القصيم. وكلنا اليوم يائسون من الحياة ومن العيش، وبما أن هذا الوضع لا يرضي عنه حضرة الخليفة، فكلنا رجاء وأمل في بذل الجهد في استكمال الأسباب التي تساعد البقية الباقية في الخروج من هذا الوضع المزري، والتردي الفاضح والعيش الضنك الذي نسد فيه رمق عيشنا بثلاثمائة جرام من الدقيق في اليوم، وإعادة الحياة إلينا. ولذلك فإننا ننتظر إصدار فرمان عال بإرسال معيّناتنا التموينية في نجف والمدينة المنورة، وهذا أملُ مَن لم يبق له أمل في الحياة.

11 حزيران 1321 [1323/4/20 هـ-1905/6/24م].

قائمقام القوة المتنقلة في الكهفة
حسين حسني بن مصطفى

صورة أخرى

إننا نقدم بعاليه برقية توضح أوضاعنا السيئة وما آلت إليه أحوالنا، بغية تقديمها إلى المقام السامي. وبما أننا مرتبطون فيها بولاية البصرة وقيادتها، فإننا نرجو رفعها إلى المقام العالي دون إجراء أي تغيير فيها. ونظرًا لأنه لا يوجد لدينا مفتاح الشفرة، فإن رفع البرقية بمفتاح الشفرة الموجود لديكم من ألطاف مقام فخامتكم علينا. وبما أن الإهانة التي تعرض لها عساكر الدولة العلية في المنطقة، إضافة إلى الوضع الميؤوس وتردي الحال التي تجاوزت طاقة البشر، وفوق التصورات الإنسانية، فقد تجاسرنا في رفع الأمر إليكم بغية اتخاذ ما يلزم، نظرًا لقربنا إليكم ووصول الأوضاع إلى درجة كبيرة من السوء واليأس..

11 حزيران 1321

قائمقام القوة المتنقلة في الكهفة
حسين حسني بن مصطفى

ويتضح من هذه الوثيقة أن عساكر الدولة العثمانية تعرضوا لمصائب كبيرة في القصيم، من الجوع والعطش والحر الشديد، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى الثُمن، حيث كان عددهم أثناء قدومهم إليها يتجاوز الألفين. أما أثناء رفع المعروض السابق لولاية البصرة فلم يبق منهم إلا مائتين وعشرين نفرًا، كانوا بين الحياة والموت. وكان السبب في ذلك حسبما يذكره حسين حسني سياسة ابن الرشيد المغايرة لسياسة الدولة العثمانية، ولا سيما في اتخاذ القرارات دون الرجوع إليها أو إلى المسؤولين العثمانيين في المنطقة، وكانت نتيجتها فرار الضابط المذكور حسين حسني من المعسكر، وتوجهه إلى الهند ثم مصر.

وقد عرضت برقية حسين حسني على القيادة العسكرية العامة في إستانبول، واجتمع مستشاروها، وتداولوا الأمر، وأصدروا بشأنها قرارًا تم التصديق عليه لدى الباب العالي. وفيما يلي ترجمة الوثيقة الخاصة بذلك القرار:

قيادة الجيش

المكتب الخاص

لقد تم في اللجنة الخاصة بالقيادة الاطلاع على البرقية الواردة من قائمقام القوة السيارة في الكهفة – من بلاد القصيم – حسين حسني بك، المرسلة عن طريق ولاية البصرة وقيادتها. إنه نظرًا لبعد مسافة بلاد القصيم، فإن تعرض العساكر العلية فيها إلى الضيق الشديد بسبب عدم وصول التمديدات التموينية اللازمة مغاير تمامًا لسياسة حضرة الخليفة. وبناء على ذلك وبموجب الفرامانات (المرسومات) السلطانية فقد أجريت الاتصالات اللازمة بالمدينة المنورة في توفير ما يلزم من التموينات بمقادير كافية، وتوفير كمية احتياطية من التموين لجنود الدولة العلية في القصيم حتى لا يتعرضوا في يوم من الأيام لتضييق مادي، حيث أرسلت كمية من المواد من جهة المدينة. كما كتبت للبصرة وبغداد بإعداد قافلة من تلك المواد التموينية لحاجيات الجيش المذكور لمدة شهر على أقل تقدير، واتخاذ كافة التدابير اللازمة في توفير أمن الطريق أثناء توجه القافلة إلى محلها. وسواء لتوفير المواد الغذائية أو لاستتباب أمن طريق القوافل أو لزيادة عدد أفراد العساكر الذين نقص عددهم، فإن إرسال الكتائب النظامية من الجيش الهمايوني السادس التي عمل أفرادها مدة سنة على أقل تقدير مع ضباطها وإرفاقهم بالقافلة المذكورة، أمر لا بد منه. وذلك ضمن إجراء الإصلاحات اللازمة للقوات المرسلة إلى القصيم. كما رأينا من المناسب سرعة توجه الأمير لواء سامي باشا الذي عيّن قائدًا عامًا على القوة الموجودة في القصيم،

بغية القيام بإجراء الإصلاحات اللازمة. إضافة إلى ضرورة تسوية بدلات الأفراد السائقين إلى القصيم دون أي تأخير، وكذلك تسوية بدل مصاريف الطريق لسامي باشا أيضًا. ولهذا فإن إصدار الأمر السامي لقائد الجيش والجهات المعنية منوط لسداد رأي حضرة الخليفة. والأمر والفرمان في هذا وفي سائر الأحوال لحضرة من له اللطف والإحسان.

28 جمادى الأولى 1323هـ، 18 تموز 1321 [1905/7/31م]

[أختام خمسة من المستشارين]

صورة الهامش المكتوب

إنه بعد الاطلاع على التقرير الذي أعد من لدن اللجنة العسكرية فقد صدر الأمر السامي باعتماد ما ورد فيه على وجه السرعة ودون إضاعة الوقت. وإبلاغ الباب العالي والقيادة العسكرية بإجراء اللازم.

29 جمادى 1323هـ... 19 تموز 1321 [1905/8/1م].

تمت مقابلتها

[توقيع ثلاثة من مستشاري الديوان الهمايوني]

ويظهر من هذا القرار الذي اتخذته القيادة العسكرية (وزارة الدفاع) العثمانية أن الحكومة كانت تعمل لتوفير التموينات اللازمة، من خلال الاتصالات التي تجريها مع ولايات المنطقة. غير أن تلك الأسباب لم تكن كافية لخروج الجيش من الأزمة التي تعرض لها. ولعل السبب في ذلك عدم رغبة الحكومة في إزعاج ابن الرشيد أو الضغط عليه وهو مناوئها في المنطقة.

وإضافة إلى الوثائق المترجمة المعروضة بعاليه، والتي توضح ما آلت إليه أوضاع الجيش في القصيم في عامي 1323-1324هـ/1905م هناك عدة وثائق أخرى في التصنيف المذكور بالأرشيف العثماني في إستانبول، قدمت من لدن زملاء حسين حسني أثناء وجودهم في الكهفة. وقد أعرضت عن ترجمتها وعرضها، لأن ما يهمنا في الأمر هو حسين حسني الذي نتحدث عنه.

ب ـ كتابه : الأوضاع العامة في منطقة نجد

هذا الكتاب يعدّ من أهم المصادر التاريخية باللغة العثمانية عن منطقة نجد. واعتمد عليه بعض الباحثين الأتراك[17] في دراساتهم التاريخية. وقد بقي الكتاب فترة طويلة مخفياً عن الأنظار، في رفوف مكتبة بايزيد الدولية بإستانبول. وعثرنا عليه بعد المتابعة المستمرة في محاولة لجمع كل ما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية من مراجع عثمانية وتركية.

وقد نشر الكتاب في العام المالي 1328 (1330هـ/1912م) في مطبعة أبي الضياء بإستانبول. ويقع في 291 صفحة من القطع الصغير (19x14 سم).

ويمكن تقسيم الكتاب إلى قسمين:

الأول: ما يتعلق بالوضع الثقافي والاجتماعي لمنطقة نجد. وقد كتبه المؤلف من خلال ما سمعه من الأخبار من أهالي المنطقة وشاهده من الأحداث فيها.

الثاني: ما كان يدونه المؤلف لنفسه يومياً من مذكرات أثناء وجوده في مختلف مناطق نجد، ومكوثه فيها ما يقرب من سنتين لعمل عسكري. حيث كان رائداً في الجيش العثماني المساق إلى القصيم في بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وأصبح فيما بعد انهزام الجيش، قائداً للكتائب الموجودة فيها.

وتأتي أهمية هذا الكتاب - كما سبق أن نشرناها في دراسة للكتاب[18] - من خلال النقاط الآتية:

1 - إيراد الإحصاءات المتعلقة بعدد السكان في منطقة نجد من بدو وحضر.

2 - معرفة المناطق السكنية من قُرى ومدن في المنطقة، وعدد سكانها، ونوعية طراز المباني، وأشهر الأماكن فيها.

3 - معرفة المبالغ المالية التي كانت تدفعها المنطقة للدولة العثمانية من زكاة وضرائب.

4 - معرفة الفنون والصناعات المحلية والمهن المنتشرة في المنطقة، وأصول الطبابة والبيطرة لدى النجديين.

5 - ذكر العادات والتقاليد الكثيرة للنجديين في تعاملهم مع الناس، وفي أكلهم وشربهم وطرق معيشتهم، وفراستهم، وفي أصولهم المتبعة في الحرب والسلم، وفي المشكلات التي تعترضهم في حياتهم اليومية.

---

(17) أمثال الأستاذ الدكتور زكريا كورشون في بحثه الموسوم: نجد والأحساء في الحكم العثماني.

(18) دراسة لكتاب عثماني ومؤلفه عن الأوضاع الاجتماعية في نجد - مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. - مج2، ع2، (رجب - ذو الحجة 1417هـ/ نوفمبر 1997م). ص 156-187.

6 – معرفة طرق المواصلات ووسائل النقل والتجارة في المنطقة.
7 – معرفة عدد الحجاج المارين بالمنطقة وواردتهم لها.
8 – ذكر مزايا العرب النجباء – كما يسميهم المؤلف – من الكرم والشهامة وإكرام الضيف، وما يتحلى به التجديون من قناعة وتوكل. بل إن المؤلف لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها. فقد ذكر حتى أعلام القبائل وألوانها.

منهج المؤلف في الكتاب

كان المؤلف ضابطاً من أفراد الجيش العثماني المنتدبين إلى نجد، كما سبق ذكره. وقد نظر إلى أوضاع المنطقة من منظور الجامعة العثمانية التي كانت تهدف إلى جمع شمل الشعوب القاطنة تحت لواء الدولة العثمانية. وكان يعارض معارضة شديدة سياسة الحكومة العثمانية في الجزيرة العربية. يظهر ذلك جلياً في الكتاب. من ذلك:

– إن الدولة لو اتبعت سياسة رشيدة في المنطقة، وتعاملت مع الأهالي تعاملاً حسناً فإنهم سيرددون عليها بالإلتزام وأداء الواجبات.

– لو قامت الدولة بإجراء إصلاحات إدارية في المنطقة، فإن أوضاعها سوف تتحسن، ولن يكون هناك ما يؤدي إلى إراقة دماء.

– إن أهل المنطقة يمتازون بالالتزام بصلاة الجماعة، وعدم إبراز القبور، ويبعدون عن البدع والخرافات. بعكس ما يشاع عنهم.

وفيما يلي بعض النقاط المنهجية في الكتاب:

1 – أطلق المؤلف على بعض المناطق السكنية في المنطقة اسم مدينة، وعلى بعض آخر اسم بلدة، وعلى بعض ثالث اسم قرية. وهو لا يسير على هذا المنهج دائماً؛ فقد عد المؤلف "الرياض" قرية. وعد "شاقرا" و"المجمعة" مدينتين، ثم ذكر في مكان آخر أن "الرياض" مدينة، وأن "المجمعة" قرية.

2 – كان المؤلف يدون مذكراته يومياً، ويصف المناطق الجغرافية في المنطقة بدقة، من حيث بُعدها عن أقرب مكان للسكنى، وعيون المياه أو الآبار الموجودة فيها.

3 – كان دقيقاً في ذكر التواريخ؛ بل كان يذكر التواريخ المهمة ويؤرخ لها باليوم وحتى الساعة.

4 – يبدو أن المؤلف مثقف ثقافة إسلامية جيدة، إضافة إلى ثقافته الأدبية والتاريخية والاجتماعية. وفي الوقت نفسه يعد كاتباً متأدباً. يظهر ذلك من خلال الآيات والأحاديث، والأبيات الشعرية العثمانية والفارسية والأمثال العربية التي ذكرها في مناسبات عديدة.

عملي في الكتاب

1 – قمت بترجمة القسم الأول من الكتاب، والذي يقع في 122 صفحة من مجموع 291 صفحة. وذلك من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية، متقيداً بالمبنى والمعنى مما أورده المؤلف.

2 – علقت على بعض الأماكن من خلال المصادر المتاحة.

3 – قمت بوضع عناوين فرعية جانبية لبعض الفقرات التي كانت بحاجة إلى عنوان بين معقوفتين. والجدير بالذكر أن ما يقع بين المعقوفتين – سواء في المتن أو الهامش – يدل على أن الكلام للمترجم، بالرغم من الإشارة في نهاية التعليقات إلى أن الكلام للمترجم، وذلك بوضعه بين قوسين، هكذا (المترجم).

4 – وضعت فهرساً للموضوعات، وآخر للأعلام وثالثاً للأماكن والبلدان في نهاية الكتاب.

وقد بذلت الجهد في إخراج الكتاب من رفوف المكتبات والنسيان إلى حيز الوجود، وبخاصة لتقديمها لاستفادة الباحثين، الذين أصروا عليّ بنشره. والآراء الواردة فيه راجعة بالضرورة للمؤلف. والجهد الذي بذلته في إخراجه إن كان صحيحاً فمن الله، وإن لم يكن كذلك فمن نفسي. وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض: 4 شعبان 1422هـ/ 20 أكتوبر 2001م

سهيل صابان
ابن الشيخ إبراهيم حقي

المقدمة

نتيجة للتدخلات الخارجية في شؤون الجزيرة العربية في هذه الفترة، أخذ أهل العارض وأهل القصيم أسلحتهم، فقاموا بطرد الدولة العثمانية من بلادهم، ممثلة في أتباع أمير الجبل عبد العزيز آل رشيد، بغية التخلص من سيطرته، وتخليص أرواحهم وأموالهم من حكمه، وذلك في أوائل تشرين الثاني من العام المالي[19] 1319 [الموافق لأواخر شعبان 1321هـ]. وبذلك تخلصوا من سطوته. أما الأمير فقد كان يكسب رضى الذات الشاهانية [أي السلطان] وتوجهاته، ويحصل على الإحسانات منه، مقابل عدة أفراس يقدمها الأمير إلى المابين[20] في كل سنة، من تلك التي استولى عليها من البدو ومن الأهالي باسم الغزوة. وفي الوقت الذي لم يكن فيه الأمير عبد العزيز بن الرشيد يرمي بتقديم تلك الهدايا التي استولى عليها من الأهالي إلى أمير المؤمنين، وعرض الطاعة له، إلا لستر نياته الرامية إلى الاستقلال بمنطقة نجد.

ولما سمع السلطان بنبأ مقاومة الأهالي في نجد لحكم عبد العزيز آل رشيد، أصدر فرماناً بإرسال قوة عسكرية إلى المنطقة، لدعم سيطرة آل رشيد.

وعلى الرغم من أن مجلس الوزراء قد عرض على جناب السلطان عدم ضرورة سوق العساكر إلى منطقة نجد، لعدم أهمية السبب الموجب لذلك، إلا أن طلبهم هذا قوبل بالرفض، فقد رُمينا نحن أيضاً [أي الفرقة العسكرية المرسلة إلى نجد] بإبل الأمير [ابن الرشيد] بقوة عسكرية مجموعها أربع كتائب مع مدفع وخمسة وعشرين خيالاً إلى وسط الجزيرة العربية، كما يرمى الحجر بالقوس.

وعلى الرغم من عدم إجراء أي تنسيق بين هذه القوة العسكرية ومثيلاتها من القوات الموجودة [في المناطق المجاورة]، فقد حرمت القوة من كافة وسائل النقل، بل حتى من أي

---

(19) السنة المالية أو الرومية: اسم للتاريخ المستخدم عند العثمانيين منذ عام 1205هـ (1790م). ويذكر في الوثائق الرسمية بالسنة المالية. ونظراً لتقيده بالشهور الشمسية وبداية سنته شهر مارس، فيطلق عليه أيضاً التاريخ الرومي. والفرق بين هذا التاريخ والتاريخ الميلادي 584 سنة؛ فإذا أضيف له 584 سنة كان التاريخ الميلادي. وإذا طرح من التاريخ الميلادي كان التاريخ الرومي، ولم يتقيد بالتعامل بالتاريخ الهجري بعد قبول التاريخ الرومي، فقد استخدم التاريخان في الأوراق الرسمية في معظم الأحيان. سهيل صابان - المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ، ص 135-136.

(20) المابين: القسم الواقع من القصر السلطاني ما بين الحرم أي جناح الحريم، وبين الدوائر الخارجية. وهو المكان الذي كان يقضي فيه السلطان يومه، إن لم يكن يخرج من القصر. والأمور التي يتم عرضها على السلطان من لدن الصدر الأعظم ترفع إلى هذه الدائرة، فيطلع عليها السلطان ويأمر بما يراه. المرجع السابق، ص 198

وسيلة للاتصال. ويضاف إلى كل ذلك أنه لم يتم الالتفات إلى تأمين خط الرجعة، وتحديد خطوط منازل الطريق التي تعد أهم تدبير للخطة العسكرية، ينبغي أخذ الاحتياطات فيها. ومع أننا لم نكن نسمع من قبل بإيداع قوة عسكرية منتظمة لإمرة بدوي، إلا أن هذه القوة أصبحت آلة بيد ابن رشيد ليشدد قبضته على الأهالي، فتعرضت القوة العسكرية لمقاومة شديدة وكانت خسائرها أكبر من أن تحتمل.

وكان كل فرد (من أفراد الجيش) يمنح سبعين غراماً من الدقيق (في اليوم الواحد) ولمدة أربعة أشهر، وفي حال فقدانه في العديد من الأيام، كان يتم دفع الجوع بمرق لحم الإبل. وفي الأيام التي لم يتوافر فيها لحم الإبل، يتم جمع الجراد من الصحراء لتوفير رمق من العيش. ونتيجة لتلك المصائب، فقد دفن أكثر من ستمائة نفر من أولاد الوطن (أي من العساكر العثمانيين المرسلين إلى المنطقة) في قرية الكهفة.

وممن اندهش من تلك الأوضاع المزرية من أفراد الجيش ممن وجد في نفسه قليلاً من القوة، لم يجد أمامه للنجاة بروحه سوى الانتشار في صحارى الجزيرة العربية القاحلة والخالية من أي أثر للحياة. إلا أن مصيرهم كان أليماً؛ فقد أصبحت أجسادهم مأكلاً للطيور والوحوش الكاسرة. وأهدرت دماؤهم في سبيل لا شيء.

وبعد أربعة أو خمسة أشهر من قدومنا لم تبق على أجسام العساكر ما يغطي ظهورهم. ونظراً لعدم وجود ما يستر عورتهم من الملابس، فقد قضوا فترة ستة أشهر يتغطون بالجوالق وهم شبه عراة، ويشئون من وطأتها. وكان النظر إلى ملابسهم وعدهم أنهم كتلة سائلة، لا أنهم عساكر الدولة العلية، يعد احتراماً لهم. لأن الشهاد لا يقبل الظهور بهذا اللبس أبداً.

لقد انخفض عدد أفرادنا إلى أربعمائة وخمسين نفراً بعد مرور ثمانية أشهر من مجموع 1923 نفراً يوم أن قدمنا إلى السماوة. وذلك نتيجة للجوع والتعب والنصب. والحقيقة أن عبد العزيز آل رشيد لو ضحى بألف ليرة من مجموع خمسة وعشرين ألف ليرة حصل عليها نقداً من أموال الشعب، ولو قام بجلب التموين والمواد الغذائية من المدينة المنورة والنجف الأشرف، كان بالإمكان جلبها خلال شهر واحد، وتحسين وضع ألف وخمسمائة فرد من الجنود، وتوفير الحياة الصحية لهم.

إن طلب العون والمساعدة لبني الجنس من مصاصي الدماء، مستبعد بدرجة طلب منح الحياة من الجلاد الذي يفتخر بمهنته. وكان عبد العزيز آل رشيد وبدلاً من القيام بالاستضافة يهملهم ويجوعهم ويذلهم، وهم لم يقدموا إلا لخدمته، وتحقيق الأهداف التي

كان يسعى إليها. ولقد تأكد المشير أحمد فيضي باشا لما وصل إلى القصيم من أن عبد العزيز آل رشيد كان السبب في انهزام ذلك الجيش. إضافة إلى ما قام به وكلاؤه في كل من المدينة المنورة والنجف بنهب المواد الغذائية والتموين الخاص بالجيش.

وكما ورد في المثل "الواقع في البحر يتمسك بالحية" فإن أفراد الجيش الذين لم تبق بيدهم الحيلة، ولم يكن لهم ملجأ يلجأون إليه، لما راجعوا مروّة الأمير بغية توفير رمق العيش لهم، كانوا يطردون من مجلسه بكل مهانة وصغار. وقد قال لهم: انهج يا صليب.[21]

الظلم على حمار الظالم يزيد من ظلمه

إسقاء الحديد بالماء يزيد من حدته

إن السبب في تحقير المجتمع العثماني وضنك عيشه تحت إدارة ظلم رؤسائه واستبدادهم، إنما هو الطاعة العمياء لهم بكل ذل ومهانة. إلا أن الأمل بالله تعالى قوي في أن القيام بتوعية هذا الشعب في القريب إن شاء الله، سوف يبعدهم عن تنفيذ مآرب أولئك الرؤساء وسوف يحترزون بذلك عن إراقة دماء إخوانهم في الدين، على سبيل المصالح الذاتية لأولئك مصاصي الدماء، وتنتهي بذلك الثورات، ويتخلص بذلك المسلمون من ذبح بعضهم البعض.

وعلى الرغم من تقديم الشكوى في المظالم التي قام بها عبد العزيز آل رشيد وأعوانه من الذين جمعهم حوله على العساكر، إلى المسؤولين وإلى المابين الهمايوني، وعرضها عليها، فقد مُنح ثلاثة آلاف ليرة مكافأة له، ونال راتباً [شهرياً] يقدر بخمسة وعشرين ألف قرش.

وفي تلك الأثناء التي أسرفت فيها تلك العطية السلطانية، كانت القوة العسكرية التي أطلق عليها "أولاد السلطان المعنويين" حصلت على راتب واحد فقط، مع مرور تسعة عشر شهراً على قدومهم.

وقد قمنا في هذا الكتاب ببيان أوضاع نجد الجغرافية وأحداثها التاريخية، وتقديم معلومات مستوفية عن هذه المنطقة، وتوسعنا في شرح وضعها العسكري، وألحقنا به ترجمة رسالة صغيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب[22]، وخريطة مفصلة عن [منطقة نجد][23].

---

(21) انهج يا صليب: يعني انقلع يا صلبي. والصلب غجر الجزيرة العربية المتجولين في بادية الشام. ولا يتعرض لهم العربان. أما الأمير فقد استولى منهم على مائتين من إبل. ولما لم يروا أي جدوى من إمكانية استعادتها اضطروا إلى الفرار إلى قرية الشنانة. تخليصاً لأرواحهم.

(22) لم تظهر رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ثنايا الكتاب أو ملحقاً به. وقد اعتذر المؤلف للقراء في نهاية الكتاب بأنه لسبب من الأسباب صرف النظر عن نشر الرسالة المذكورة. (المترجم).

(23) لم تظهر في ملاحق الكتاب سوى خريطة واحدة، هي خريطة مواقع الطرفين المتقاتلين في معركة "البكيرية". (المترجم)

وقد ظهر هذا الكتاب بهذه الصورة بعد تسجيل المعلومات التي حصلت عليها على حساب حياتي، والمساوىء التي تعرضت لها والتي سبق ذكرها. وبناءً على الوظيفة الرسمية فقد كنت في خضم هذه القضية منذ بدايتها وحتى انتهائها.. ولذلك فإن لهذا الكتاب قيمة كبيرة في نظري. كما إنني اعتبرتُ الكشف عما يجري في هذه المنطقة وعرضها على الناس واجباً إنسانياً ومدنياً، ينبغي عليّ القيام به. ولهذا السبب فقد أقدمتُ على القيام بتأليف هذا الكتاب ونشره، لأداء هذا الواجب، والإسهام قدر الطاقة في إيقاظ المواطنين.

مصر: 9 نيسان 1906م [15 صفر 1324هـ].

التوقيع

حسني

أوضاع نجد الجغرافية

جغرافية المنطقة الطبيعية

تطلق جزيرة العرب على المناطق الواقعة بين خطي الطول الشرقي 33,2 و 57,4 وخطي العرض الشمالي 12,40 و 13,45 درجة. ويحدها[24] من الشمال القسم الجنوبي من ولايتي بيروت والشام وسنجق[25] شهر زور، ومن الشمال الشرقي نهر الفرات، ومن الشرق شط العرب وخليج البصرة، ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج عدن، ومن [الجنوب] الشرقي خليج مسقط والبحر الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر وخليج السويس وقناته.

أما منطقة نجد، فهي ما أطلق على وسط جزيرة العرب. ويحدها من الشمال بادية الشام، ومن الشرق منطقة الأحساء، ومن الجنوب الصحراء المسماة بالربع الخالي، ومن الغرب منطقة عسير.

وهذه المنطقة تنقسم إلى أحد عشر إقليماً، هي: القُرع، الخرج، العارض، المحمل، سدير، الوشم، القصيم، الجبل، الجوف، الأفلاج، وادي الأقصى.

ومركز إقليم الجوف الواقع في منتهى الشمال الغربي هو قرية دومة [الجندل]، وترتبط بهذا المركز قريتا سكاكا وقارة.

ومركز الجبل هو مدينة حائل. وقراها هي:

السليمي، سميراء، الروضة، المستجدة الخلفية، القصر، قفار، الغزالة، السبعان، طابة، فيد، الكهفة، بقعاء، الوجيد [لعلها الودي]، اللقيطة، الجثامية، جبة، موقق، جفيفا.

ومع أن قرى الحائط والحويط وتيماء تابعة لإمارة الجبل، إلا أنها واقعة في منطقة الحجاز.

ومركز منطقة القصيم هو مدينة بريدة. ويطلق اسم الخبوب على بساتين النخيل،

(24) هذا التحديد للجزيرة العربية بموجب التقسيم الإداري لها في عهد الدولة العثمانية. ولا وجود لها الآن؛ إذ أن المنطقة التي كانت خاضعة للنفوذ العثماني في تلك الفترة، انقسمت إلى المملكة العربية السعودية، والأردن – وهي لا تعد من الجزيرة العربية –، واليمن، بالإضافة إلى المشيخات الخليجية التي كانت موجودة في الأصل وهي الإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان والبحرين. (المترجم).

(25) السنجق أو اللواء: تقسيم إداري للدولة العثمانية، وهو حسب الترتيب الإداري العثماني من الأصغر إلى الأكبر: الناحية أي البلدة، القضاء، السنجق، الولاية. سهيل صابان – المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية – مرجع سابق. ص 136 (المترجم).

نظراً لكونها في المنحدرات الواقعة بين التلال الرملية المتعددة، المحيطة بأطراف المدينة. وتبعد الواحدة عن الأخرى مسافة خمس عشرة دقيقة أو نصف ساعة. وعدد هذه الخبوب ثلاثون، هي: الروض، خب البريدي، ميريجسية، خب العوشز، خب عزازين، اللسيب، قصيعة، الهراس، النقرة، نقرة العودة، بقرة السلمان، النحلات، الحضيرة، خب القبر، الوهطان، الروضان، خب الحلوة، الحمر، العريمض، خب المنمي، الخضرة، الرواق، السباخ، البصر، عاقولة، السويعر، الغماس، الحويلان، السادة، الجفيرة. وتوجد في بساتين النخيل تلك قرى صغيرة، تتكون الواحدة من ثمانية إلى عشرة منازل. كما توجد بها قرى كبيرة، تتكون من عدة مئات من المنازل. إلا أنها تسمى أيضاً باسم الخب. وما عدا تلك الخبوب، فإن منطقة القصيم تشمل القرى الآتية:

الصبيح، النبهانية، مسجة، نفي، الأثلة، المذنب، العوشزية، الشماسية، البيعية، نبجية، عين ابن فهد، النفجة، البطاح، الرسيسي، الرويضة، البدائع، رياض الخبراء، الخبراء، الهلالية، الجندلي، البكيرية، الشيحية، القرعاء، النهدية، العيون، الروض، الغاف، وثال الزلفي، الطريف، التنومة، الحنيظل، أبالدود، الطرفية، الهدية، قصيباء، الكوار [العلها القوارة].[26]

أما بلدة عنيزة فمع كونها واقعة في وسط القصيم إلا أنها لا ترتبط بإمارة القصيم. بل هي إمارة مستقلة تتكون من خب: وادي العمران، الوهلان، وادي أبو علي، يروغاني، وقرية الشبيبة.

ومركز الوشم شقراء. وقراها هي:

رغبة، الحريق، الداهنة، جريفاء، القصب، نخيل، الفرعة، أشيقر، أثيثة، مرات، ثرمداء، القراين، عين الصوينع، وثيلان، السر، الفيضة، البرود، شرقة، الدوادمي، الشعراء، القويعية، الرويضة.

ومركز السدير مدينة المجمعة وتتكون من القرى الآتية:

الغاط، الخيس، رويضة الخيس، الظلم، الحرسة، جلاجل، التويم، عشيرة، الداخلة، الروضة، الحوطة، الجنوبية، الحصون، الخطامة، العطار، العودة، تمير.

ومركز المحمل مدينة ثادق وتضم قُرى: البرة، ضرمة، ملهم، جرينة، حريملاء، القراين، دقلة، الحسي، البير، الصفرات.

---

(26) يطلق أهالي نجد على بعض أهالي منطقة القصيم اسم عقيل، والسبب في هذه التسمية هو كون أهالي القصيم كانوا يعملون في شرطة الهجانة. وكان يطلق على العاملين في شرطة الهجانة داخل ولاية الحجاز عقيل.

ومركز العارض قرية الرياض[27]. ونظراً لكونها مركزاً لأئمة الوهابية[28] فلها أهمية معنوية كبيرة. وقراها: العيينة، الجبيلة، الدرعية، العرجة، منفوحة، سدوس والحائر.
ومركز الخرج مدينة الدلم وترتبط بها قُرى: السليمة، الإمامة [العلها: اليمامة]، نعجان.
ومركز الفرع مدينة الخريج [الصحيح: الخرج]. وقراها: نعام، الحوطة، الحلوة.
ومركز الأفلاج (ويطلق عليها أيضاً الدواسر الأدنى) مدينة السيح الحامد. وقراها: ليلى، وسيلة، الجرف، العمار، الروضة، مروان، الحمر البديع، الهدار، الغيل، خيبر.
ومركز مسارة مدينة السليل. وقراها: الدواسر الأقصى، تمرة، الخفيجان، حمدة، الشرافة، رجبان، الخماسين، الولامين، الفرعة.

العوارض

تعد منطقة الجبل أكثف مناطق نجد الجبلية. ومن أهمها جبال: سلمى، عجا [الصحيح: أجا]، رمان، قفار، الجرة، قنا. وأكبرها هو جبل أجا، ويمتد بين قريتي موقق واللقيطة، بمسافة ثلاثين ساعة.
وطول جبل سلمى الممتد بين قريتي الروضة وبقعاء عشر ساعات. أما مواقع الجبال الأخرى فقد أشير اليها في الخريطة الملحقة بالكتاب.[29]
وأهم سلسلة جبلية في منطقة نجد هي جبال طويق والعرمة. فطويق يبدأ من رملية الدهناء القريبة من بوابة جراب الواقع في ثلاث ساعات من شرق رملية ثوران، ويمتد إلى الأفلاج باتجاه الشمال إلى الجنوب، ويتحوَّل بين قريتي الحمر والهدار باتجاه الجنوب الغربي ثم يمتد إلى أن يصل إلى شمال منطقة عسير.
أما جبل العرمة فيبدأ من شرق قرية المجمعة بخمس ساعات، ويمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة سلسلة جبل طويق وينتهي في شمال قرية الحائر التابعة لمنطقة العارض.
وما عدا السلاسل الجبلية تلك، يجدر ذكر جبل العرض الواقع في الجنوب الغربي من قرية القويعية التابعة للوشم، حيث يمتد عرضه مسافة عشر ساعات وطوله خمس عشرة ساعة مما جعله من العوارض الطبيعية. وكذلك جبل جبلة الواقع في أطراف قرية نفي. أما

---

(27) ويطلق المؤلف في بعض المواقع من الكتاب على الرياض اسم البلدة. (المترجم)

(28) على الرغم من أن المؤلف معجب بأهل المنطقة ولا يرى اختلافاً كبيراً بين الدعوة السلفية وغيرها من الدعوات الإسلامية؛ إلا أنه يطلق على أتباعها الوهابية، كما هو سائد لدى العثمانيين في تلك الفترة. (المترجم)

(29) وهذه الخريطة التي أشار إليها المؤلف لم تظهر ضمن ملاحق الكتاب. (المترجم)

العوارض الطبيعية الأخرى فهي عبارة عن تحويلات أرضية، ترتفع خمسة أو ستة أمتار. وتخلو جبال نجد من الأشجار والأعشاب وتوجد العشب المسمى بالنصي[30] بكثرة بين الأدغال الموجودة في مواقع تراكم المياه.

غير أن العوارض الطبيعية في هذه المنطقة هي سلاسل التلال الرملية أكثر من الجبال. وأهمها هي الدهناء التي تبدأ من الجنوب الغربي من قرية طوية، وباتجاه الغرب متحولة من غرب قرية جقيفاء إلى الشرق مارة من شرق شمال مدينة المجمعة بمسافة ثماني ساعات، تاركة جبل العرمة في جهة الغرب بمسافة خمس ساعات وبمحاذاته باتجاه الجنوب. ثم تستمر إلى مرعى السهباء، حيث تتجه من شرقها إلى الجنوب الغربي وتمر بين قرية بيرين وبقعة الفرع، متجولة مسافة ثلاث عشرة ساعة من جنوب شرق قرية ليلى وتمتد بمحاذاة جبل طويق إلى أن تنتهي في الدواسر الأقصى.

ومع أن الدهناء صغير في مبدئه إلا أنه يتسع إلى أن يصل عرضه إلى اثنتي عشرة ساعة، وذلك في جوار آبار لينة ويتجاوز ارتفاعه أربعين أو خمسين متراً، غير أنه في جوار منطقة سدير ينزل إلى أقل مستوى له من الانخفاض، ثم يرتفع بعد ذلك ويتوسع بحيث يصل عرضه في جوار العارض إلى ثلاثين متراً، ثم ينخفض للمرة الثانية في الدواسر.

والرمليات الجديرة بالذكر بعد رملة الدهناء، هي صعافيق وثويرات. فسلسلة رملية صعافيق تتشعّب من الدهناء في جوار مستوي إلى عدة شعب، ممتدّة باتجاه الجنوب، مارة بقرية الشماسية وتنتهي في أطراف عنيزة.

أما رملة ثويرات فتنفصل عن الدهناء في الشمال الغربي من قرية الزلفي، وتمتد إلى شمال قرية رغبة. ونظراً لأن هذه الرملة ترتفع ما بين أربعين وسبعين متراً، فإنها تشكل عارضة من العوارض الطبيعية الكبيرة. فسلسلة التلال الرملية في منطقة نجد هي تلك. أما الرمليات الأخرى التي تعتبر كبيرة نوعاً ما وتشكل مانعاً طبيعياً فهي: التلال الرملية التي تشغل حيزاً يقدّر بأربعين أو خمسين ساعة من الأراضي المحيطة ببريدة؛ والرمليات المحيطة بمدينة عنيزة و البكيرية؛ وكذلك الواقعة في شمال مدينة الرياض بمسافة أربع ساعات بالقرب من آبار بنبان والتل الرملي الواقع شمال آبار شعيبة والذي يمتد ثماني أو عشر ساعات ويرتفع اثنين وأربعين متراً.

والجبال الرملية في منطقة نجد ليست متحركة وإنما ثابتة غير أنها في أثناء العواصف

---

(30) النّصي نبت سبط من أفضل المراعي، واحدته نصية. إبراهيم أنيس وآخرون – المعجم الوسيط.– ط2. القاهرة: دار المعارف، 1393هـ/1973م.– 2/ 927 (المترجم)

الشديدة تنتشر الرمال الموجودة في قممها إلى الأطراف. أما الرمال الواقعة في جوار قرية الكهفة فمتحركة ويتبع موقعها وشكلها الرياح في شدتها واتجاهها.
ولون الرمال الموجودة في هذه المنطقة إما ترابي أو أبيض. فالأبيض لا يظهر عليه أثر للحياة. وبما أن الجبال الرملية التي لونها لون التراب تحوي الكثير من الخضار، فهي مَراعٍ للإبل. ونظراً لعدم جفاف مياه الأمطار في الحفر الموجودة بين الجبال الرملية تلك، فإن الأعشاب تكثر فيها بوجه خاص.

الوديان

لا توجد في هذه المنطقة أنهار جارية وإن كانت هناك بعض منابع المياه. غير أنها لا تشكل مجرى على سطح الأرض نظراً لقلة المياه وكون الأراضي رملية فتجري تحت الرمال.
وهي على هذا النحو: توجد في القرب من قرية صبيح عين يسمى فوارة. ونظراً لكون هذه البقعة ممراً للبدو وعدم إمكانية الاستفادة منه في زراعة أو بناء قرية، فقد تُركت على حالتها الطبيعية. فتكوَّن مستنقع أثَّر على جو المنطقة. إلا أن البدو يستفيدون منها في إسقاء إبلهم ورعي مواشيهم.
وكانت المياه الجارية الموجودة في قرية قصيباء والمنطقة المجاورة لها، العاملَ الأساسَ في تكوين مزارع النخيل وبناء القرى. وبالرغم من أن المنبع المذكور داخل مدينة الخرج أهم العيون في المنطقة إلا أنه لا يستفاد منها، نظراً لكونها واقعة تحت سيطرة بدو سبيع والسهول. فتركت النباتات الموجودة في أطراف المستنقع مرعى مع أن أرضها منبتة وصالحة للزراعة.
إلا أن أهالي قرية العيون وعين ابن فهد يستفيدون بحق من العيون الموجودة في قراهم. كما أن الماء الجاري في مدينة السيح الحامد أدى إلى تشييد البساتين وأشجار النخيل. وهكذا يستفيد سكان قرية عين الصوينع والسر من العينين القريبين من قريتيهم.
ومياه هذه المنطقة الجارية هي تلك، أما ما عداها فهناك وديان جافة تمر فيها المياه الواردة من ولايتي الحجاز وسوريا المتجمعة فيها مع مياه الأمطار، حيث تمر بالمنطقة، ثم تصب في خليج البصرة، فيتم حفر الآبار فيها أو بالقرب منها، فتسقى الحقول والمزروعات منها.
وتقل مياه تلك الآبار في جفاف موسم الصيف، فتنزل إلى ثلاثة أمتار. غير أنها لا تجف. وفي الآبار التي تحفر يتم تصادف مجرى الماء في عمق عشرة إلى عشرين متراً.
والأهالي في هذه المنطقة يشربون مياه الآبار على الغالب. ونظراً لكونها تحوي على الكلس فهي مضرة للصحة؛ غير أن مياه بعض الآبار عذبة. ومياه الأمطار التي تتجمع في خط

تراكم اجتماع مياه الجبال المتسلسلة في الحجاز والتي تصب في خليج البصرة، تتراكم شيئاً فشيئاً في نطاق تلك الجبال إلى أن تصبح سيلاً يمر بين مدينتي الرس وعنيزة، وتصبُّ في خليج الكويت، بعد أن تقطع الدهناء. ويسمى القسم الذي يقع بين الحجاز والدهناء وادي عنيزة [العله: وادي الرمة]، والذي يقع بين الدهناء والكويت وادي باطن.
والسيول التي تصبّ من سلاسل جبال طويق في جوار قرية الحيسية تمتد إلى السهباء ويسمى هذا الوادي وادي حنيفة، أو وادي مسيلمة. ويكوّن امتداد مياه الأنهار والأمطار القادمة من شرق سوريا والتي تصب في خليج البصرة وادياً طويلاً جافاً، وتتوجه من الغرب إلى الجنوب الشرقي فتصبّ في آبار الحفر. والفرع الذي يتوجه منها إلى الجنوب، يمُر بقرية الهفوف وغرب شبه جزيرة قطر، فتصبّ في خليج العديد. أمّا الفرع الآخر المتوجه إلى الشرق فيصبّ في خليج الكويت، ويسمى القسم الواقع بين آبار حفر وعديد، بوادي المياه. ويوجد كثير من الآبار على مجرى السَّيل هذا، ويظهر ذلك واضحاً في الخريطة الملحقة بالكتاب.

الطرق [والمواصلات]

يُعد كل شيء في منطقة نجد على حالتها البدائية. ونظراً لكون موانعها الطبيعية عبارة عن الجبال الرملية، فإن معرفة ممرات السلاسل الجبلية ومواقع مجرى المياه كافية لمعرفة الطريق والسير. وبناء على الحاجة الماسة للمياه في استمرار الحياة، فقد تم حفر الآبار من قبل الذوات الكبار الذين كانوا يتجولون في هذه الصحراء. وبذلك تكونت منازل الطريق. إلا أن التخطيط لحفر تلك الآبار أعِدّ لحاجات الإبل، وليس لحاجات الإنسان وحياته. ولذلك فإن المسافة بين تلك الآبار تقدّر بثلاثة أو أربعة منازل.
والمدن التي يتوجه إليها الأهالي في هذه المنطقة هي: النجف، السماوة، حميسية، الزبير، الكويت، الهفوف، مكة المكرمة، المدينة المنورة، الشام. ومع انعدام الطرق الرسمية الصناعية في نجد، إلا أن الأهالي يلمون باتجاه المدينة التي يودون الذهاب إليها بالنظر إلى اتجاهها، والتحولات الأرضية في هذا الاتجاه. فيذهبون بقوافلهم نهاراً دون أي ضياع. ونظراً لكون تلك التحولات الأرضية يشبه بعضها بعضاً، وعدم وجود علامات في الطريق فإن التيقظ والانتباه ضرورة لابد منها.
وأكثر من يعرف طرق هذه المنطقة هم قوم الصلب. أما البدو فيعرفون المراعي والمدن التي يتوجهون إليها والأراضي التي يغزون فيها فحسب.

والقوافل التي تتحرك ليلاً تتبع النجم القطبي المسمى الجُدي. ونظراً لخبرة الأهالي من اتجاه الجدي بالنظر إلى استقامة الموقع الذي يودون السفر إليه؛ فإنهم يسيرون بجمالهم على الطريق نفسه للوصول إلى الموقع المذكور. فعلى سبيل المثال: إذا كانت هناك قافلة تتوجه من حائل إلى النجف فإن اتجاه الجَدي في هذه الحالة يكون أمام خُرْجة الإبل، بحيث تصبح على شكل ملعقة مدورة بارتفاع ذراع إلى الأعلى.

وينعدم الأمن في طرق نجد، إلا أن يسافر الإنسان بدلالة خوي أو دليل من كل قبيلة تقع على الطريق. فالقافلة التي تعتزم السفر من المدينة المنورة إلى بريده لابد لها من استئجار دليل من كل قبيلة تقيم على الطريق؛ فتستأجر مثلاً دليلاً من قبيلة حرب، وآخر من مطير وثالثاً من عتيبة، مع أن الخطر باق في حال حصول غزوة من قبيلة على تلك القبائل. وما عدا ذلك قد تكون هناك بعض القبائل لا تعترف بدليلها المرافق للقافلة، فتقوم بنهب أموالها. فعلى سبيل المثال فإن قبيلة مطير لا تعترف بالدليل[31]. والخلاصة أن التجول في نجد يعني توقع الخطر وانتظار وقوعه في أي لحظة. ومن المناسب جداً في الوضع الراهن للإدارة العثمانية تعيين مدينتي العديد و الحناكية مراكز للجيش المساق إلى منطقة نجد. والطريق المعتاد الذي يتم منه حشد الجيش من مدن الهفوف وسماوة والزبير والمدينة المنورة يُعدُّ طريقاً طويلاً. وآبار المياه عليه قليلة، والرمال كثيرة. ولهذا السبب فإن اختيار قرية الحناكية مركزاً لحشد الجيش وسوقه يعد قراراً صائباً، بالإضافة إلى الإفادة من خط حديد الحجاز. فالقوة العسكرية الكبيرة إذا تم سوقها من هذا الطريق، وقوة أخرى جزئية إذا أرسلت إلى الرياض عن طريق عديد ويبرين، ونظراً لكون قبيلة الدواسر[32] تنفر من عشائر نجد، فإنها سوف تقدم المساعدات اللازمة للعساكر. يضاف إلى ذلك أن نقل العساكر عن طريق البصرة سوف يسهل المهمة. وهكذا فإن التفريق بين عشائر الشرق والغرب يعد نجاحاً جيداً في الحروب الناشبة بين العشائر؛ فعشائر الشرق لن تستطيع القيام بمساعدة عشائر الغرب، نظراً لانشغالها بالحفاظ على أراضيها. وبالحركة العسكرية هذه يتم تشييد بناء مدينتي عديد ويبرين القريتين، فتعودان إلى سابق عهديهما. والجدير بالذكر أن سواحل عديد أكثر الأماكن التي يوجد فيها معدن اللؤلؤ في خليج البصرة.

---

(31) هذا رأي المؤلف. (المترجم)

(32) الدواسر من القبائل النجدية. (المترجم)

وسائل النقل

الإبل في منطقة نجد هي وسيلة النقل. ولا يعمل حيوان غيرها في هذه الصحارى الواسعة الخالية من المياه والسكنى. وحتى حياة البغال التي يحاول الأهالي في هذه المنطقة الحفاظ عليها أكثر من الحفاظ على أرواحهم متوقفة على الإبل. فهي التي تقوم بحمل قراب المياه لها. ونظراً لكون الأراضي في نجد رملية فلا يمكن الإفادة من وسيلة نقل أخرى.

المحصولات الزراعية

نظراً لكون قوة الإنبات في نجد على سطح الأرض، فإن حفر الأرض بعمق ما، يؤدي إلى إخراج الكلس والجبس على سطح الأرض. فيقومان [أي الكلس والجبس] في القضاء على قوة إنبات الأرض التي شكلتها الشمس والمطر. ولهذا السبب فإن طول المحراث - وعادة يكون من الخشب - لا يتجاوز ذراعاً واحداً. وتتم حراثة الأرض بحيوان واحد، ويتفاد في هذا الصدد من جميع الحيوانات.

ومع أن الأهالي غير مُلمين تماماً بأصول الزراعة من خلط التراب بغيره لتقوية الأرض، إلا أنهم يخلطون الكلس بالتراب في نطاق الجبال [أي المنحدرات منها]، فتقوى الأرض. كما أنهم يُلمّون برَش السماد في الحقول. إلا أنهم غير واقفين على خلط الرمل بتربة الأرض الصلبة لتخفيف قوة التصلب فيها.

ونظراً لكون النجديين على درجة كبيرة من النشاط، فإنهم يقومون بتأمين حاجتهم إلى المزروعات من خلال الكمية القليلة من الماء الذي يخرجونه بحيواناتهم من الآبار. وقد بذلوا غاية جهدهم في إيجادها. وبذلك لا يحتاجون إلى الخارج في غذائهم وهي ميزة رائعة لهم.

ومع أن معيشة الأهالي تعتمد على الفلاحة، إلا أن أسعار المحصولات التي حصلوا عليها بصعوبة ليست غالية. وكان الكيلو الواحد من القمح في الأعوام الماضية التي مرت بأمن وسلام عشرين بارة،[33] والشعير خمسة بارة.

وبما أن استيراد الذخيرة من الخارج صعب للغاية، فإن الأهالي مضطرون لادخار

---

[33] الاسم العام للنقد أو الفلوس والدراهم. وهو في الاصل نقد معدني مضروب في عهد السلطان مراد الرابع. وكان أكثر بقليل من خمسة قراريط. وكان القرش الواحد يساوي أربعين بارة، وزنته اثنا عشر قيراطاً من الفضة. وكانت على فئتين: فئة العشر بارة، وفئة العشرين بارة. وضرب في عهد السلطان سليم فئة المائة بارة. وكان القرش الواحد في عهد محمود الثاني يساوي أربعين بارة. سهيل صابان- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية- مرجع سابق، ص 51 (المترجم)

تمويناتهم لعدة سنوات. حيث يستخدمونها لغذائهم في حالة القحط، أو نشوب نزاع أو خصام مع القبائل.

ويقوم النجديون بحفظ الحبوب الاحتياطية في المستودعات التي عملوها في الدور العُلوي من منازلهم، صيانة لها من أضرار الحشرات. وبعد حراثة الحقول مرة يقومون بتقسيمها إلى مربعات بمساحة مِتْرَيْ مربع، لزيادة جريان المياه وعدم تضييعها. ثم يتم تلبيس ممر الماء بالطين الكلسي للقضاء على مص الرمل. يضاف إلى ذلك أنهم يقومون بوضع جذوع النخل بارتفاع نصف متر بشكل مكثف في أطراف القناة، لمنع الرمال التي تنثرها الرياح من دخولها.

ونظراً لكون البذور تنثر في الأرض بمقدار سنتيمتر واحد؛ فإن العصافير بإمكانها إخراجها من الأرض بمناقيرها، مما يوجب الحراسة عليها ثلاثة أو أربعة أيام بعد إلقاء البذر.

ومع بذل تلك الجهود والاهتمام الكبير الذي يُوليه الأهالي للزراعة، فقد تعصف الرياحُ بالرمال فتغطي على الزرع ويفنى بكل أسف.

ولجريان المياه إلى الحقول والمزارع بشكل مستمر، فقد عملوا أحواضاً كبيرة مستطيلة الشكل في القرب من الآبار، ولا يسقون الزرع إلا بعد امتلاء الحوض.

وتتم الزراعة في نجد بحساب النجوم؛ فبعد غروب نجم سُهيل بأربعين يوماً ينتهي موسم صيد اللؤلؤ ويبدأ موسم الزراعة الشتوية بعد غروبه بثمانين يوماً، ويصادف ذلك كانون الأول [ديسمبر]. ويتم حصادها في شهر مايو وهو موسم زرع القمح والشعير. فتبدأ الزراعة الصيفية بطلوع نجم الثريا، ويصادف شهر حزيران. ويتم حصادها في شهر أيلول [سبتمبر]. والزراعة الصيفية تشمل الذرة والدخن، واللوبية، والبقول، والقمح المصري والشعير. فنجم الجوزاء الذي يطلع بين النجمين المذكورين إيذان بزراعة الذرة، وبطلوع نجم الشعرا تتم زراعة الدخن (ويحسبون الفترة الواقعة بين طلوع تلك النجوم وغروبها مدة ثلاثة أسابيع).

ومزارع النخيل في نجد في غاية الانتظام والإتقان. كما أن تمورها في غاية الطعم واللذة. وإن كانت لا تصل إلى مستوى التصدير للخارج. غير أنها كافية للاستهلاك المحلي. وفي مزارع النخيل تلك تتم زراعة الخضروات من البامية والباذنجان والكوسة والقرع والبصل والثوم والكراث والطماطم والخيار والشمام والحبحب.

ومن الفواكه التي توجد في نجد بكثرة : الليمون الحلو، والرمان، والتين، والأترنج كما

يوجد بها العنب. غير أنه ليس حلواً. وقد تمت تربية أشجار تلك الفواكه في مزارع النخيل، وليست هناك مزارع خاصة بها.

ونظراً لعدم إلمام الأهالي بأصول تقليم الأشجار وتلقيحها، فإن الفواكه ليست لذيذة. كما أن الأشجار لا تثمر كميات كبيرة من الفواكه.

ويوجد في نجد البرسيم بكثرة للاعتماد عليه في غذاء كافة الحيوانات. ويستمر حصاده لمدة أربع سنوات بعد زرعه مرة واحدة.

ويتم استخدام حيوانين أو أربعة لإخراج الماء من الآبار حسب كُبر البئر وتوفر الماء. وهناك آبار يستخدم عليها ثمانية حيوانات.

وينبت في الصحراء في نهاية موسم الربيع ما يطلق عليها اسم كمأة.[34] وهي رزق من الله. وحجمها أكبر من البطاطس وألذ منه. وهي تنبت في ألمانيا أيضاً. وتنبت الكمأة في ألوان مختلفة منها الأبيض والأحمر والأسود ويطلق عليها حسب ألوانها دومبلان وفقع وزبيدي. إلا أن الأسود منها ألذ من غيره. وإذا نزل المطر على الأرض الخصبة، فإنها تنبت وتنمو. وإذا استوت على سوقها خففت الرمال من فوقها وأظهرت مكانها للباحثين عنها. ويتم أكلها بالملح بعد تنظيفها وطبخها في الماء كما يمكن طبخها باللحم المفروم والسمن. إلا أن ألذها هي حشو الديك الرومي أو الدجاج أو الغنم بها. ومع أن الكمأة ثقيلة على المعدة إلا أنها مُغذّية ومقوّية، كما أن طعمها لذيذ. وهناك نوع من الأعشاب تنبت في هذه الصحاري أثناء نزول المطر، يطلق عليها نصي،[35] وهي مفيدة للمواشي مثل الشعير والتبن.

الحيوانات

الإبل هي أكثر الحيوانات المتوافرة في هذه المنطقة. وتوجد في مجتمع للبدو، يضم عشرين أو خمساً وعشرين خيمة ستمائة إبل. وإذا عُدّت عشرة بعارين لكل واحد من البدو، وخمسة لكل واحد من الحضريين فإن مجموعها في منطقة نجد يصبح مليونين ونصف مليون بعير. وهي غريبة في نمط عيشها؛ فهي لا تحتاج إلى الماء في الشتاء لمدة أسبوع. وإذا استمرّت على أكل الأعشاب في هذا الموسم فهي لا تحتاج لشرب الماء. وفي الصيف ينبغي

(34) اسمه بالعربية الفصحى (كم) إلا أن الأهالي في هذه المنطقة يبدّلون حرف الكاف العربي إلى الجيم الفارسي وإذا قيل (كم) لا أحد يفهم.

(35) سبق التعريف به. (المترجم)

إسقاءها مرة كل أربعة أيام. وفي الأيام التي لا تشرب فيها الماء تَستخدم الماء الموجود في معدتها الثانية التي وهبها الله لها وحدها. وإذا وَجدت مرعىً جيداً فإنها تقوم بتخزين الطعام في سَنامها. وإن لم تجد مرعى أو جاعت فإنها تستطيع التحمل لمدة شهر كامل بالطعام المخزون في جسمها.

ونظراً لقوة حاسة الشم لديها فإنها تقوم بتخزين الماء للفترة التي تقضيها في السفر. وذلك بالنظر إلى المدة التي تُسقى فيها.

أما الإبل التي تستخدم في المزارع فهي تُسقى يومياً. وإذا أريد استخدامها في رحلة فيتم رعيها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ثم تسقى الماء، حتى تستطيع تخزين احتياطيها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ثم تتحرك.

وتقطع الإبل في الدقيقة مسافة 67 خطوة، في الحالات العادية. وطول خطوتها متر واحد. أما الهجن من الإبل فتقطع مسافة اثني عشر أو خمسة عشر كيلو متراً في الساعة ونظراً لعدم صدور الصوت من أرجلها أثناء المشي، وصلاحها لركوب شخصين عليها مع تموينهما لمدة شهر، وسرعة سيرها، وبشكل خاص عدم حاجتها إلى حمل غذائها، كل ذلك من الميزات التي تمتاز بها الإبل، مما يجعلها صالحة للاستخدام العسكري. إلا أنه ينبغي ربط فمها في الحالات الاضطرارية، حتى لا تصرخ. ومما يجدر ذكره أن إمكانية إناختها بمجموعات كبيرة في أمكنة ضيقة و إخفاءها فيها، ثم ربط عقلها وإمكانية قيام شخصين أو ثلاثة بالحراسة على ألفين أو ثلاثة آلاف بعير في تلك الحالة، يعدّ من المحاسن التي تتميز بها الإبل عن الخيول. وإذا اتُخذ قرار باستخدام الإبل في الجيش الخامس والسادس والسابع وفرقة الحجاز، وإذا تم تشكيل عدة أفواج هجانة بدلاً من البغال والخيول، سيكون ذلك قراراً حاسماً؛ لأن الإبل تخدم الجيش أكثر من الخيول والبغال.

وتكون ألوان الإبل بيضاء، وحمراء، وسوداء، وزرقاء. ونظراً لكون الإبل الزرقاء حادة المزاج فهي غير مرغوب فيها. والإبل الحمراء تستخدم للركوب والحمل. ونظراً لكون الهجين من الإبل من جنس آخر فيطلق عليها اسم الحر. أما ما يطلق عليه اسم الذلول من هذه الإبل الحرة فهي لينة الطبع، سهلة المساق. ويتم تعليمها لاستخدامها في السباق. وهي المستخدمة للركوب وأشهر أنواع الذلول من الإبل يتربى في منطقة عُمان ويطلق عليها اسم نعماني. وتَسْوَى الواحدة منها أربعمائة[36] ريال، أما غيرها من الذلول فتُباع من خمسين إلى مائة ريال.

(36) توجد هنا كلمة (بالية) ولم أعرف معناها. (المترجم).

وأنثى الإبل في الصيف والذَّكَر في الشتاء يتحمل الطريق والجمل أكثر من غيرها .
وإبل نجد في الغالب بسنام واحد. أما الإبل ذات السنامين فهي أقوى، ويصادف وجودها في منطقة الشام. والإبل السوداء تستخدم للحمل، أما البيضاء منها فلا تصلح للركوب ولا للحمل. ويُربَّى هذا النوع من الإبل لتكون في مقدمة الإبل أثناء الغزو، فتساعدها في الجري وراءها. وإن لم تتعلم الإبل على المشي بمفردها، يستحيل فصلها عن القطيع .
وراعي كل قبيلة يُعَلِّم إبلها على مقام معين من النغم أثناء الرعي وهو راكب على أحدها. فإذا سمعت الإبلُ صوتَ الراعي تَبِعَته في السير وتحركت تبعاً للراعي .
[وهناك قصة طريفة وهي]: أن خيالة فيلق الجيش الخامس قاموا بعد تعب شديد بأخذ إبل من عشيرة عنزة، وجمعوها في مَعان. وأثناء أخذ الضريبة بعد التعداد ظهرت عجوز، تطلب السماح بالعفو عن ناقتها التي تمتلكها من الضرائب. فاستجيب لرغبتها. ولما ركبت العجوز ناقتها وجَرَت بها ورفعت صوتها بالغناء المعتاد لدى الإبل المحجوزة، قامت الإبل جميعها تستجيب النداء وتجري وراء العجوز، فقام الخيالة بغية منعها إلا أنهم لم يستطيعوا إيقافها. وبذلك ذهبت الجهود المبذولة في هذا الصدد سُدى. وقد ذكرتُ القصة للعبرة، حتى لا يقع فيها الأصدقاء [من أفراد الجيش مثل ما وقع فيه زملاؤهم].
والأغنام في هذه المنطقة أيضاً متوفرة بكثرة. وهي خالية من الصوف، حيث توجد على جلدها أشعار مثل شعر الماعز. أما الماعز فمع وجوده إلا أنه أقل من الأغنام .
وتوجد في هذه المنطقة أيضاً الخيول العربية الأصيلة. غير أن أجسامها صغيرة ويعود السبب في ذلك إلى عدم حصولها على الشعير فترة طويلة، والركوب عليها وهي صغيرة، وعدم حصولها على قسط من الراحة. ومع أن البغال تأكل الشعير خلال شهرين من السنة، وفي الشهور الأخرى تأكل عشب النصي، إلا أن لها قدرة فائقة على الجري، وأحياناً يصادَف أن تسير لمدة يومين أو ثلاثة أيام وعلى ظهرها راكبها ودون أن يُقَدَّمَ لها طعام أو شراب. ونظراً لكون تربية الحيوانات في هذه المنطقة مُكْلِفَة فإن لم تكن هناك حاجة الفحول للمَهر الذكر، يتم إتلافه، ولا سيما أن المهر الذكر يَضرّ بأمه، ولذلك يُمنع من الحلب بعد الأربعين، وفي أثناء ذلك وبعده يتم إرضاعه من حليب الإبل.
ويوجد في نجد الثيران والأبقار والخروس والدجاج، أما الإوز والبط والديك الرومي فلا يوجد. ولا يوجد فيها من أنواع الطيور سوى الحبارى والحمام والغُراب والعصفور .
كما يوجد من الطيور آكلة اللحوم بكثرة، مثل الصقر والنسر. ونظراً لجريان القتال في هذه المنطقة بكثرة فلا تنقص في صحاريها الجثث. فتقوم هذه الطيور بأكل لحم الإنسان. وقد

تأكد للعيان أنها تقتصر على لحم الوجه ثم العيون ثم الذكر ثم باطن القدم، وتترك الباقي.
ويوجد على جبال نجد نوع من الحيوان يطلق عليه اسم البُدن ويشبه الماعز البري، ولحمه لذيذ للغاية. إلاّ أنه غير مستعد للعيش بين الناس. فقد تم تربية بعض صغاره، ولما كَبُر وتُرك مثل الحيوانات الداجنة دون ربط، ولّى هارباً ليلتحق بأمثاله. ويوجد أيضاً الأرانب والغزلان بكثرة. ولا يصادف في منطقة نجد القطط.
ويطلق النجديون على الحيوان المسمى في الحجاز بـ الضب[37] اسم الجربوع. ويقوم هذا الحيوان ببناء عشه تحت الأرض، تاركاً منفذين إلى الفضاء، ليستطيع الهروب بسهولة، ويغلق المنفذين على نفسه من الداخل. إلاّ أن العرب ماهرون في ايجاد عشه؛ فأثناء السير على الجمال بإمكانهم التقاط عشه فينزل الراكب من على بعيره، ويدخل عصى في أحد الثقبين ويمسك به بيديه أثناء خروجه من الثقب الآخر، فيطبخه ويأكله.
وإن لم يوجد في منطقة نجد من الحيوانات المفترسة الأسود والنمور، بينما توجد العقارب بكثرة. ولهذا السبب فإن العرب يقومون بتربية الكلاب، لحراسة خيامهم.
وهناك حيوان يسمى صقنقور أو سمك الرمل، ولو أطلق عليه سحلية الرمل لكان أنسب. والفرق بينه وبين السحلية هو قصر ذيله، والتصاق أصابع قدميه، ولونه الأصفر المائل إلى الأحمر. يعيش هذا الحيوان تحت الرمل. ويتم الإمساك به أثناء بحثه عن غذائه في المزارع والمنازل. ويجففونه في الشمس، ثم يحفظونه. ونظراً للاعتقاد السائد بأنه يقوي الجسم فالرغبة فيه أكيدة في إيران والعراق ومصر. ويعمل منه معجون القوة. وفي بعض الأحيان يتم تقديم عدة صقنقور إلى الدجاج ثم يذبحونه بعد 24 ساعة، فيطبخونه ويأكلونه.

الغابات

نظراً لعدم وجود الغابات في هذه المنطقة، فتتم زراعة الشجر المسمى عثل [الصحيح: الأثل][38] ويحيط هذا النوع من الأشجار بكافة مزارع النخيل. ويوجد منه بكثرة في هذه المنطقة نظراً لاستخدامه في البناء. فهو صالح للبناء في طوله ومتانته. كما أن لوحات هذا الشجر يستخدم في النجارة نظراً لصلاحه في النحت والتلميع، وإن كان غير لين بسبب قساوة ألياقه. وينمو شجر الأثل هذا ويكبر بشكل مستقيم في الأماكن التي لا تصادف

---

(37) الضب حيوان معروف، وهو غير الجربوع.

(38) الأثل شجر من الفصيلة الطرفاوية، طويل مستقيم يعمر، جيد الخشب كثير الأغصان، متعقدها، دقيق الورق. واحدته أثلة. إبراهيم أنيس وآخرون – المعجم الوسيط – مرجع سابق: 1/ 6 (المترجم)

جذورها الأحجار. ويظهر على أغصانه في بعض الأماكن ثمرة من نوع الأرز، ويستخدم في الدباغة.
ونظراً لكثرة وجود شجرات ذات أشواك في الصحراء تسمى الرمث والعرفج والحمض، فتتم الإفادة من جذوره في المحروقات. وتأكل الإبل أغصانه الطرية. ويفهم من سهولة احتراق هذا الشجر في حالته الخضراء أكثر من الأشجار اليابسة، إنه يحتوي في تركيبه على مادة مشتعلة. ولا يتجاوز طول الأدغال في نجد متراً ونصف المتر أما جذورها فأطول من أغصانها وأسمك.

المعادن

يوجد في قريتي القرعة والشقيق في القصيم معدن الملح الأندراني بكثرة. وإن كان يوجد منه في قرية الكهفة، إلا أنه نظراً لاختلاطه بالرمال فغير مقبول.
ومن الأشياء المتواترة وجود الفحم الحجري في جبل أجا. كما يوجد في سلسلة جبال طويق وجبال العرمة آثار معادن الحديد والنحاس، إلا أنها لم يتم اكتشافها وإخراجها للتجارة حتى الآن.

المناخ

مع أن المناخ في نجد حار ويابس إلا أنه أصح وأنفع من أجواء سواحل الجزيرة العربية الرطبة والحارة.
ونظراً لتبدل اتجاه هبوب الرياح بشكل دائم فليست لها مواسم معينة. فالرياح الشرقية تهب مع الرطوبة، وأثناء مرورها من الصحراء تبخر تلك الرطوبة، فتنشر برداً معتدلاً في الأجواء. وفي الأجواء العاصفة تؤدي إلى الأعصار.
ودرجة الحرارة في هذه المنطقة في أبرد المواسم لا تقل عن عشر درجات مئوية فوق الصفر. كما أنها في الحرارة الشديدة في موسم الصيف ترتفع إلى أكثر من خمس وأربعين إلى خمسين درجة مئوية في الظل. غير أن جو المساء والصباح فيها لطيف. وفي شهور تموز إلى أيلول [سبتمبر] تكون حياة الإنسان في خطر إن لم يلتجئ إلى الظل بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس، نظراً لهبوب رياح سام فيها. وفي هذه المواسم يمكن السفر نهاراً إلى الساعة الثالثة[39] صباحاً، ومن بعد العصر إلى الغروب، ومجموعها ست أو سبع ساعات. وفي أثناء

---

(39) يظهر أنها بساعة الغروب. (المترجم)

هبوب الرياح الشديدة والعواصف الرملية ينبغي على الراجل أن ينزل عن راحلته فوراً، ويدق بشكل قوي أوتاد خيمته في الأرض في الحال ويدخل فيها فيغلقها على نفسه بشكل محكم، وينتظر ختام العاصفة، أو أنه يرقد على الأرض ويغطي رأسه بما فيها أذنيه وأنفهً وعينيه بالكامل بغطاء سميك، ولا يقوم من مقامه إلا بعد أن يصفى الجو وتهدأ العاصفة الرملية تماماً. وإن بقي في العراء فمن المحتمل أن يؤدي الغبار الداخل إلى حلقه إلى الاختناق، كما سبق أن وقع ذلك لأناس.

التجارة

تتكون صادرات منطقة نجد من الإبل والأغنام والماعز والسمن والخيام المعمولة من الشعر.

ففي كل سنة يتم سوق قافلة من الإبل إلى الشام وأخرى إلى مصر.

وأهل الجبل[40] يتجهون إلى النجف والسماوة؛ وأهل القصيم ومنطقة سدير والوشم إلى الكويت؛ وأهل المناطق الأخرى إلى الهفوف. فيذهبون إلى تلك الأماكن بقوافلهم ويبيعون فيها إبلهم ويشترون في مقابلها الرز وما يلزمهم من مواد، ويرجعون إلى بلادهم.

وعلى الرغم من أن بعض الخيول والبغال تصدّر من المدينة المنورة إلى الشام ومصر، غير أن كميتها قليلة. وبما أن البغال تُعَدُّ من ألزم اللوازم عند النجديين فإن بيعها غير وارد بتاتاً، ويعدّ قتلاً لأرواحهم. غير أنهم يقدمونها هدية لبعض الشخصيات. ويمكن أن يصدَّر من الخيول أعداد كبيرة إن لم تتلف في الصغر. إلا أن أعدادها في الوقت الحاضر في نجد قليلة. وفيما تتم تربيته هي الفحول.

وبما أن العتاد العسكري والأسلحة الحديثة من أهم ما يحتاج إليها النجديون، فإن تجارتها رائجة ومُرْبحة. وتُعَدُّ مُدن المحمرة، والكويت، والوكرة، وأبو ظبي، ومسقط، من أهم مستودعات العتاد العسكري والأسلحة في المنطقة.

الصناعات

يوجد من بين أهالي نجد أصحاب جميع المهن التي يحتاج إليها ساكنوها، إلا أنه ليست هناك مهنة شهيرة عامة تختص بهم.

(40) يقصد المؤلف بأهل الجبل أهل حائل. (المترجم)

فيقوم الأهالي في هذه المنطقة بعمل الحصر والمُصليات والمراوح وصحون الفواكه والطعام والسفرة من أوراق شجر النخيل. كما يعملون من النحاس دلة القهوة، ويزيّنون قبضات الأسلحة الجارحة بالفضة، وينسجون من الشَّعر الخُرجَ وبيوت الشعر والسجادات.

عدد السكان

ينقسم عدد السكان في هذه المنطقة إلى بدو وحضر. فالبدو هم الذين لم يقضوا أيامهم في بيوت مسقوفة، بل أقاموا في ظل بيوت شعر نسجوها بأيديهم. ويسافرون على رواحلهم. وهم يرحلون إلى الحواضر لتأمين حاجاتهم الضرورية كالمأكل والملبس. وبعد قضاء حوائجهم ينتشرون في الصحاري الواسعة، التي تُعَدُّ مأواهم الدائم.

أما الحضر فهم ممن يقومون بحفر الآبار في المواقع الملائمة للزرع، وينشئون المزارع والحقول، ويبنون مساكنهم، ويقيمون فيها. وحتى هؤلاء الحضريين معتادون على ترك منازلهم وقُراهم إذا اخضرَّت الصحاري بنزول المطر، فيقيمون في الخيام لعدة أشهر، ليتسنى لهم استنشاق الهواء الصافي الطلق.

وللبدو أيضاً في هذه الصحاري الواسعة آبارهم ومراعيهم. فهذه الصحاري الخالية من السكنى ليست بدون أصحاب، بل هي مقسمة بين البدو. والأراضي الصالحة للزراعة من المواقع التي يمتلكونها لا هم يستثمرونها، و لا يأذنون لأحد بزراعتها. وأكبر جماعات البدو التي تتجول في الجزيرة العربية وفي منطقة الجزيرة [41] هي عشيرة عنزة. وتمتد مواقع تجولها من شمال مدينة ينبع إلى شرق بادية ولاية الحجاز والشام وحلب، وجنوب سنجق زور، وغرب بادية ولاية بغداد. وسكنى مدينة القصيم والكويت هم متمدنو عشيرة عنزة[42]. ونظراً لعدم وجود فخوذ هذه العشيرة في منطقة نجد، فلم يكن بالإمكان التفصيل فيها.

أما بدو شمر الذين يتجولون في بادية الشام فهم قبائل عَبْدَة، والأسلم، وسنجارة، والتومان[43]، والدغيرات[44]. والفخوذ التي تتفرع منها هي:

فخوذ قبيلة عبدة: الجعفر، المفضل، الويبار، الصليط، الهامل، الجندة، الجبرين، ابن

---

(41) وهي المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات. (المترجم)

(42) هذا كلام غير دقيق؛ فهذه المدن لا تقطنها حواضر عنزة، عدا عوائل محدودة. (المترجم)

(43) التومان: بطن من سنجارة. (المترجم).

(44) الدغيرات: عدد من البطون الطائية تنتمي إلى عبدة.(المترجم).

علي، ابن عجل، ابن شريم، وابن شرهان[45].

فخوذ قبيلة الأسلم : الطوالة، المسعود، الجامل(الكامل)، الفايد، المناصير، النفقان، الفردة، الجنفا، المدعور، الوجعان، الغرين، الوهب، والجميش[46].

فخوذ قبيلة سنجارة [47]: الرمال، الرخيص، الزميل، الغفيلة، السويد، الثابت، الزويمل، المايج [المايق]، والشلقان[48].

فخوذ قبيلة التومان[49] : الوضاع، الهدبة، الربعة، الجنان، الهاب [هكذا]، الحياط [هكذا]، ابن عايش، والصدعان.

فخوذ قبيلة الدغيرات[50]: الغيثة، العليان، العلوي، الشايع، الحسين، التريبان، والشريهة. ويتجول بدو عشيرة شمر ابتداءً من آبار الحزل إلى جوار آبار لينة، البدع، والحيانية، حضرة، الشعيبة، بالية، تربة، وفي منطقة الجبل. وعدد أفرادهم حوالي خمسين ألف نسمة وفيهم ألفا خيال، وألفان من المسلحين.

ونظراً لكون أمير شمر [نجد من] آل رشيد، ويقيم في حائل، فإن عشيرة شمر مرتبطة بالجبل. وحضر الجبل هم متمدنو عشيرة شمر.

وعدد سكان مدينة حائل سبعة آلاف نسمة. ومجموع عدد سكان ملاحقها من الحضر عشرة آلاف نسمة.[51]

أما المتجولون من عشيرة حرب في منطقة نجد، فهي قبائل بني سالم، المسروح، الفردة، بنو علي.

فخوذ قبيلة بني سالم : جارية، العريمات، الهوامل، الزغيبات، قيعة، حسنان، ونمايته.

فخوذ قبيلة المسروح : الذويبي، القوم، ابن مهمل، عوف، مخلة، البيضان، والبدارين.

فخوذ قبيلة الفردة : ابن حماد، ابن حديد، شعاقين، الدهاليس، وعظي.

فخوذ قبيلة بني علي : القرون، الجحوش، الكتمة، والدهيم .

---

(45) هؤلاء الفخوذ: بعض فخوذ عبدة. أما ابن جبرين وابن علي وابن عجل، فبيوت مشيخة. (المترجم)

(46) وهذا فيه خلط. (المترجم).

(47) أما الرمال: فبطن من الفضيلة، وأما الرخيص ففخذ من النبهان من الزميل، وأما المايق ففخذ من الفضيلة، وأما الشلقان فبطن من الزميل. (المترجم).

(48) وهذا الكلام تنقصه الدقة، والنقص فيه واضح؛ فهناك فخوذ أخرى معروفة. (المترجم).

(49) التومان قبيلة كبيرة من سنجارة. (المترجم).

(50) الدغيرات قبيلة كبيرة من عبدة. (المترجم).

(51) وعشيرة شمر المقيمة في منطقة الجزيرة هي قبيلتا شمر الجربا وشمر طوقة ، وينقسم شمر الجربا إلى : خرصة، فداغة، ابن هتمي، وعبدة . وشمر طوقة ينقسم إلى فرقتين : الصايح وزبوع. ويتوقع عدد سكان شمر الجزيرة مثل شمر بادية الشام.

ويتجول أفراد عشيرة حرب في الأراضي الواقعة بين قرية الحناكية والرس. وعدد أفرادهم وخيالتهم مثل عشيرة عتيبة.[52]

وعشيرة عتيبة تنقسم إلى قبيلتين هما : برقا والروقة.

فخوذ برقا : المقطة، النفعة، الدغالية، الروسان، الشيابين، الدعاجين، والعصمة.

فخوذ الروقة : ابن ربيعان، ابن زربية، الضيط، الحماميد، ابن شليويح، ابن مُحَيا والحفاة.

وهذه القبيلة تتجول في بادية الجنوب من منطقة القصيم والوشم. ولها ألف وخمسمائة خيالاً، وعدد أفرادها يقرب من عشرين ألف نسمة.

وعشيرة مطير تتكون من قبيلتي الدويش[53] والبرية :

فخوذ قبيلة الدويش [علوي]: العماش، الطبان، الهزاع، ابن شقير، الجبلان، الرضمان، الفغم، الملاعبة، ابن شبلان، وعميل [هكذا].

فخوذ قبيلة برية : المريخات، ابن مهيلم، الدياحين، ابن عشوان، ابن بصيص، أبو شويربات، القريفة، الهوامل، المحالسة، العفسة، وحميداني.[54]

وقبيلة برية من هذه العشيرة تتجول في منطقة القصيم، وقبيلة الدويش [الصحيح: علوي] تتجول في داخل أراضي الصمّان. وعدد أفرادها خمسة وعشرين ألف نسمة، ولها ستمائة خيال.[55]

ويتكون عدد سكان مدينة بريدة وهي مركز إمارة القصيم، من اثني عشر ألف نسمة. وعدد سكان ملاحقها وخبوبها التابعة لها خمسة وأربعون ألف نسمة.

وعنيزة هي أكثر بلاد منطقة نجد عمارة وتجارة. وتحوي عشرين ألف نسمة ، وعدد سكان ملاحقها وخبوبها التابعة لها ثلاثة آلاف نسمة تقديراً.

وعشيرة هتيم تتجول في منطقة الحايط، والحويط إلى تيماء. وتنقسم إلى: ابن براك، قصبة، وحلوي. وعدد أفرادها عشرون ألف نسمة. ولها خمسمائة خيال. وعدد السكان في قرى الحايط والحويط وتيماء خمسة آلاف نسمة.

---

(52) وأفراد عشيرة حرب المتجولين في منطقة الحجاز أربعة أو خمسة أضعاف المتجولين من العشيرة في منطقة نجد.

(53) الصحيح تتكون من علوي وبريه. (المترجم).

(54) ولا يخفى أن كثيراً مما عدها المؤلف فخوذاً لهذه القبائل هي في الحقيقة أسماء لشيوخها. مثل المريخي، وابن عشوان. إلخ... (المترجم).

(55) يطلق اسم "العليويين" على الموجودين من أفراد عشيرة مطير في الحجاز. ولها من الفخوذ [الصحيح ومن أمراء أفخاذها] : ابن سفيان، ابن ضمنة، ابن درويش، المطرقة، الشويب، ابن شرار، ابن جبرين، والشيباني [هكذا]. ويتوقع عدد أفرادهم ثلاثين ألف نسمة.

وقبيلة الشرارات تتجول في منطقة الجوف. وعدد أفراد هذه القبيلة مثل عدد أفراد عشيرة هتيم (أي عشرون ألف نسمة). وعدد السكان الحضر في منطقة الجوف يقدر بثمانية آلاف نسمة.

وعدد السكان الحضر في منطقة الوشم خمسة وعشرون ألف نسمة. وفي سدير عشرون ألفاً، وفي المحمل اثنا عشر ألف نسمة.

وعدد سكان مدينة الرياض – وهي مركز منطقة العارض – يقدر بثمانية آلاف نسمة. وعدد سكان القرى التابعة لها سبعة آلاف نسمة. وبدو سبيع والسهول والمغابس[56] يتجولون في هذه المنطقة. وعدد أفرادهم خمسة وثلاثون ألف نسمة. وفيهم ألفا خيالاً.

وعدد سكان الخرج سبعة آلاف، والفرع تسعة آلاف نسمة.

وعشيرة الدواسر تنقسم إلى فخذ الحسن والمساعرة[57]. فالحسن تتجول في منطقة الأفلاج، والمساعرة في منطقة وادي الأقصى[58]. وعدد أفراد عشيرة الدواسر هذه خمسة وعشرون ألف نسمة. وفيهم ألفاً وخمسمائة خيالاً. وعدد السكان الحضر في الأفلاج ووادي الأقصى يقدرون باثني عشر ألف نسمة.

وفيما يلي جدول مبين لعدد السكان في منطقة نجد من بدو و حضر:

اسم الموقع	عدد سكان الحضر	عدد سكان البدو	المجموع
الجوف (والشرارات)	8,000	20,000	28,000
جبل شمر	25,000	50,000	75,000
الحايط والحويط وتيماء والهتيم	5,000	20,000	25,000
القصيم وعتيبة وحرب ومطير	57,000	65,000	122,000
عنيزة	23,000	------	23,000
الوشم	25,000	------	25,000
سدير	20,000	------	20,000
المحمل	12,000	------	12,000
العارض: سبيع والسهول ومغابس	15,000	35,000	50,000
الخرج	7,000	------	7,000

(56) لا توجد قبيلة في العارض بهذا الاسم. (المترجم).

(57) المساعرة ومنهم آل قويد، من شيوخ الدواسر المعروفين. (المترجم).

(58) لعله وادي الدواسر. (المترجم).

اسم الموقع	عدد سكان الحضر	عدد سكان البدو	المجموع
الفروع [الفُرع]	9,000	------	9,000
الأفلاج وادي الأقصى (الدواسر)	12,000	20,000	32,000
المجموع العام	218,000	210,000	428,000

ويتضح من هذا الجدول أن عدد السكان في منطقة نجد يقدر بحساب الفراخ بأربعمائة وخمسين ألف نسمة، ومساحتها 722,000 كم2. وعلى هذا فكل كيلو مترين مربعين من مساحتها يصيب فردين ونصف الفرد. ويعدُّ الروم إيلي[59] أكثف المناطق نفوساً وعمارة في الدولة العثمانية، ويقع على كيلو مترين مربعين منها سبعون فرداً. وفي الوقت نفسه يصيب كل كيلو مترين مربعين في المملكة البلجيكية أكثر من ستمائة شخص. وهكذا يُظهر الجدول السابق العبرة والاتعاظ لأهل البصيرة، وهو مقاس تقاس به نتائج آثار التمدّن والعدل العمرانية ونتيجة المظالم والبداوة الهدامة[60].

وما عدا ما ذكر سابقاً، فيما يلي بيان بالقبائل البدوية المتجولة في الجزيرة العربية:

عشائر جبشة والعياش والخزاعل: الموجودة في البادية الغربية من قضاء شامية.

عشيرة الزياد : في البادية الغربية من قضاء السماوة.

بدو الظفير ومنتفق وشريفات والغزي: في البادية الغربية من ولاية البصرة.

بدو العوازم وعريبدار والدويش [المطير]: في منطقة الكويت.

بدو العجمان وآل مرة والدواسر وبني هاجر والمناصير والنعيم: في داخل لواء الأحساء.

بدو المناصير : في منطقة عمان.

بدو بني منصور وبني خالد وبني خليد في منطقة مسقط وحضرموت.

بدو بني مرة وجوف وبني شداد وبني كلب في البادية الشرقية من لواء تعز وصنعاء.

بدو حرب وقحطان ومطير وبني تميم[61] وبني فهم في الصحراء الشرقية من منطقة الحجاز.

ويوجد في البادية الشرقية من لواء عسير بدو قحطان .

ولا يوجد في داخل اليمن البدو المتنقلون أصحاب الخيام، بل الأهالي كافتهم فيها متوطنون.

(59) الاسم العام لأراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوربا. (المترجم)

(60) هذا هو رأي المؤلف في البداوة. (المترجم).

(61) لا توجد بادية لبني تميم في الجزيرة العربية. (المترجم).

أما الحدود الشرقية من هذه المنطقة وهي ما يطلق عليها الربع الخالي فلا يعرف إن كان يتجول فيها البدو أم لا.

وفي مدينة صعدة –وهي من البلاد المشهورة في منطقة اليمن – توجد قبائل يام وبني سفيان، وهما من القبائل المعروفة بكثرة عدد أفرادها، وشدة بسالتهم وشجاعتهم.

ويطلق على قبائل شرارات والعوازم والعونة و صلالّلا وهتيم بين العربان اسم (شاوي)[62] ويعني الراعي، ولا يعتدُّ بها.[63]

فبدو العونة وصلالّلا تتجول مع عشيرة عنزة. إلا أن هؤلاء الشواة اليوم أقوياء مثل سائر العشائر.

ويقدر مجموع عدد سكان الجزيرة العربية باثني عشر مليون نسمة. ويعتقد عدد البدو منهم ما بين أربعة وخمسة ملايين، والباقي حضر. وعدد أفراد عشيرة عنزة أكثر من مليون نسمة.[64]

المساكن

على الرغم من أن إقامة البدو في مكان معين مرتبط بانتهاء المراعي فيه، إلا أنهم في مواسم الصيف الحارة لا يبتعدون عن الآبار.

وتبنى المباني في نجد من الطين بشكل متين وصالح للدفاع. وليس لها نوافذ إلى الخارج. وهناك مبان بدورين وثلاثة أدوار؛ ففي مدينة عنيزة وبريدة يقع النظر على بعض المباني العظيمة.

ومع كثرة وجود الكلس في هذه المنطقة، إلا أن المباني الكلسية نادرة، بسبب كلفة إحراقه.

وأبواب منابر الجوامع في منطقة نجد و الأحساء في داخل المنابر. حيث يتم بناؤها بشيء من الوُسع، ويُفتح من الجانب الأيمن منه باب، يبدأ منه سلَّم المحراب، وعند انتهاء دَرَجه بالارتفاع المطلوب، يكون مكان الخطيب، الذي يقرأ منه الخطبة. والمحاريب التي استُخدِمَ في بنائها نوع من الفن يعدُّ ظريفاً. وعلى وجه الخصوص ليس هناك تخوف من فصل الجماعة إلى صفين أو ثلاثة فصول. وإن وجدت في منازلهم المخدات إلا أن مخداتهم في الصحراء الشداد، وفي مجالسهم التي يقبلون فيها الضيوف يتم نشر الشداد فيها، بحيث يبقى ما بين الواحدة والأخرى مسافة الجلوس لرجل واحد، فيجلس الضيف في هذا الفراغ

---

(62) الشاوي: يطلق على رعاة الأغنام. وبخصوص هذه القبائل ليس صحيحاً؛ فمنهم أصحاب أغنام، ومنهم أصحاب إبل. حتى إن الشرارات يتميزون من بين سائر القبائل في الجزيرة العربية بامتلاك الإبل الأصيلة. (المترجم).

(63) أي من ناحية النسب فقط. (المترجم).

(64) يبدو أن هذا العدد تقديري من المؤلف. وهو مبالغ فيه بدون شك. (المترجم).

ويرتاح بالاستناد إلى الشداد من الجهتين.
ومما يروى فيما بينهم أن مبعوثاً خاصاً من السلطان كان قد قدِمَ إلى الأمير عبد العزيز [ابن رشيد] فجلس على الشداد ظناً منه أنها وضعت في المجلس للجلوس عليها.

المذاهب

مع أني لست متخصصاً في الدخول لمباحث الدين، إلا أنني سوف أعرض ما رأيت وسمعت من أمور الدين في هذه المنطقة. وبحث هذه الأمور ومناقشتها في الأصل راجع إلى العلماء الكرام.
أهل الحضر والبدو بشكل عام في منطقة نجد على المذهب الوهابي[65]، ومُجدد هذا المذهب هو محمَّد بن عبد الوهاب من قرية عويشية [الصحيح: العُيَيْنة]. وقد بدأ بنشر مذهبه الوهابي[66] عام 1143 هـ - باسم والده - رحمه الله - بعد عودته إلى بلده. ويستند أساس هذا المذهب على توحيد الله سبحانه وتعالى.
ولا يوجد خلاف في الأصول العقدية لهذا المذهب. فأتباع هذا المذهب لا يُقصِّرون في العمل بأركان الإسلام الخمسة من صوم وصلاة وحج وزكاة وكلمة شهادة، وأداء الفروض الثلاثين للصلوات[67] الخمس على وجهها الصحيح. فهم ليسوا مثل بعض الشيعة من تنزيل عدد الصلوات الخمس إلى ثلاث وأدائها في ثلاثة أوقات.
ولا يوجد في جوامعهم الحصير، لأن السجدة على الأرض عندهم أفضل. أما في المذهب الشيعي فيتم السجود على القطع الطينية المأخوذة من تراب كربلاء والتي أطلق عليها اسم التربة. ويتم وضعها على الأرض في محل السجود، بحيث تقع عليها الجبهة أثناء السجود.

---

(65) إطلاق هذه التسمية على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين لا يعترفون بها من قبل الخصوم. يقول عبد الله الصالح العثيمين تعليقاً على الكتاب الذي ترجمه: أطلق خصوم أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليهم اسم "الوهابيين" تشويهاً لسمعتهم، وتنفيراً عنهم. لكن هذا الاسم أصبح شائعاً لدى كثير من الكتاب. أ.هـ. مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان لودفيج بوركهارت؛ ترجمة عبد الله الصالح العثيمين. - الرياض: (د.ن)، 1405هـ/ 1985م، ص 8 وانظر حول تسمية الأتراك والكتاب الترك لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالوهابية أو الوهابي أو الخارجي... إلخ: عبد الفتاح حسن أبو علية - المخطوط التركي: حجاز سياحتنامه سي. - الرياض: دار المريخ، 1403هـ / 1983م، ص 23-24 (المترجم)
(66) المسألة الوهابية مفهوم اصطلح عليها في الدولة العثمانية للدلالة على المقاومة التي لقيتها الدولة العثمانية في مناطق واسعة من الجزيرة العربية والعراق، على يد القوات السعودية، في المرحلة الأولى من تاريخها. ووجه تسميتها بالوهابية، نسبة إلى الشيخ محمد عبد الوهاب الذي قام بالدعوة السلفية لمحاربة البدع والخرافات، وإبعاد الناس في الجزيرة العربية عن الشوائب التي تعلقت بالدين، وتصحيح مسارها، بعد انتشار كثير من الأمور المخالفة للدين الصحيح. (المترجم)
(67) الفروض الثلاثين للصلوات الخمس على المذهب الحنفي- وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، ومذهب الأتراك في الفقه. (المترجم)

كما أن بعض مجتهدي المذهب الشيعي يضعون من تلك القطع في محل وضع اليدين أثناء السجود، فيضعون أيديهم أيضاً على تلك التربة.

[تبدأ من هنا محاورة بين المؤلف وأحد علماء الشيعة. تتعلق بموضوع السجدة على التراب، وقدسية مدينة كربلاء عند الشيعة. وقد رمز المؤلف لاسمه بحرف الحاء، ولاسم العالم الشيعي بحرف العين]:

لما كنت في كربلاء جرى حوار بيني وبين أحد علماء الشيعة على النحو الآتي:

ح : هل تتفضل لي ببيان فضل السجدة على الأرض وفرضيتها، بعيداً عن التعصب؟

ع : لم يسجد النبي [صلى الله عليه وسلم] على شيء سوى الأرض.

ح : إن الذين علمونا مبادىء الدين الإسلامي – الذي أتشرف بالانتساب إليه – هم أهالي الحجاز. وكيفية سجدة النبي [صلى الله عليه وسلم] قد انتقلت إليهم أباً عن جد بالمشاهدة، كما هو معلوم. وبما أن أهالي الحجاز اليوم يصلون على الحصر والسجادات، فينبغي أن يكون النبي [صلى الله عليه وسلم] قد صلى عليها صلواته أيضاً. وبما أنه [صلى الله عليه وسلم] صلى صلوات تجاوز الآلاف فينبغي ألا يقع في ذلك أي اختلاف.

ع : لما انتقل النبي[صلى الله عليه وسلم] إلى الرفيق الأعلى، أصبح وضع أهالي المدينة المنورة في وضع مزر. وانتشروا [في الأطراف]. ولذلك فلا ينبغي متابعة الوضع الراهن في ذلك [أي في الصلاة على الحصر والسجادات].

ح : إن المخلفات النبوية الشريفة موجودة في عاصمة الخلافة الإسلامية وهي مدينة إستانبول. ويوجد من ضمنها سجادته [صلى الله عليه وسلم].

ع : من يعلم؟

ح : جنابك على حق؛ غير إني أرجو منكم الانتباه لي: ما هي الأراضي المقدسة؟

ع : بيت الله، المسجد النبوي، المسجد الأقصى، النجف الأشرف وكربلاء. غير أن كربلاء قد نزلت فيه آية كريمة، ولذلك فقدسيتها أكثر.

ح : إذاً [أخبرني] على أي الأراضي كان النبي [صلى الله عليه وسلم] وأصحابه الكرام يسجدون قبل بناء كربلاء؛ إذ أن كربلاء اتخذت للإقامة فيها بعد استشهاد سيدنا الحسين؟ وبناءً على وجهة نظركم تلك فإنكم تدعون أن الصلاة التي صليت في الفترة التي سبقت فتح كربلاء وهي عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] وعهود الخلفاء الراشدين الأربعة، كانت غير مقبولة. وأنا أعتقد أن مجتهدي الشيعة أيضاً لا يقتنعون بهذا. لأنكم

بذلك تقولون إن الصلاة التي صلاها سيدنا علي أيضاً في تلك الفترة غير مقبولة. ويبدو أن اجتهادكم لا يجانب الصواب.

ع: يعيش هنا ويتعيش آلاف الفقراء على هذه الأرض [أي كربلاء]. وقد اتخذت محلاً للقمة العيش من لدن آلاف المسلمين الذين يأتون إليها من كل أنحاء العالم.. ولم يستطيع أن يزيد على ذلك [أي أن العالم الشيعي لم يكن لديه رد يرد به على المؤلف حسين حسني].

وهكذا فإن بعضهم حوَّل الدين إلى سوق ومتجر، يتاجر به، وهو مخطئ في ذلك. نرجو الله تعالى أن يلهمهم الرشاد. آمين..

وبما أن الشيعة يعتقدون بمذهب الإمام المعصوم، فإنهم مضطرين للصلاة خلف المجتهدين. ونظراً لأن الصلاة في مذهبهم غير مقبولة إن لم يتم اتباع المجتهد، فإن الأماكن التي لا يتوافر فيه المجتهد لا يصلى فيها بالجماعة. وبناءً على هذا الإلزام فإن القرى التي لا يتوافر فيها المجتهد، ينبغي وقوف معصوم لم يتجاوز الخامسة عشر من العمر بجانب الإمام، ويكون وجهه متوجهاً للجماعة، فيقرأ الإمام تكبيرة الإحرام والركوع والقيام والسجود والقعود بصوت خافض، ويكررها المعصوم بشكل جهري، ويؤدي بذلك وظيفة المؤذن، ويصلون على تلك الشاكلة. والسبب في ذلك أن الشخص الذي يصبح الإمام، ينبغي عليه ألا يخطئ (أي معصوماً). أما المجتهدون في المذهب الشيعي فإنهم على درجة العصمة.

والعبادة التي يؤديها الشخص الذي لا ينتسب للمجتهد باطلة في المذهب الشيعي. أما المذهب الوهابي فلا يوجد فيه مثل هذا الفكر الباطل.

وباب الاجتهاد في المذهب الشيعي والوهابي لم يغلق بعدُ. وبما أن عدم التشرف بالانتساب لآل بيت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] مانع من الاجتهاد بموجب أحكام الشيعة؛ ونظراً للادعاء القائل بأن كافة الأشراف والسادة (68) قد قتلوا في عهد الخلافة العباسية، فإن علماء الشيعة العجم [أي الفرس] قد حصروا الاجتهاد في أنفسهم.

كان قد جرى سؤال لما كنا في النجف عن السبب الذي أدى بالسنة لإغلاق باب الاجتهاد، فجرى الحوار الآتي بين أحد علماء السنة [وأحد علماء الشيعة] الحاضرين على هذا النحو [وقد رمز المؤلف للعالم السني بحرف السين، وللعالم الشيعي بحرف الشين]:

س: إذا تقيد قبطان إحدى السفن - وهو شخص واحد - برأي المسافرين على متن سفينته، فإن السفينة سوف لن تصل إلى وجهتها في أي حال من الأحوال، بل إنها تصطدم

---

(68) يطلق على المنتسبين لسيدنا الحسن من أولاده لقب الشريف، وعلى المنتسبين لسيدنا الحسين لقب السيد.

بمشكلة أو خطر. ومجتهدو أهل السنة والجماعة قد قدروا هذا الموقف، فأمروا بسد باب الاجتهاد. وبما أن علماء الشيعة قد أبقوا باب الاجتهاد مفتوحاً، فإن النتائج التي تمخضت عن الأحكام التي أصدرها كل مجتهد بموجب رأيه قد أدت إلى تعميم أحكام فيما بعد مستكرهة عقلاً وطبعاً [وغير مستساغة].

ش : ما هي هذه الأحكام يا ترى؟

س : تحريم أكل الزبيب بالغلي، والأوضاع السيئة التي نتجت عن فهم خاطيء لقوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم﴾. والحقيقة أن الحرث يعني الزرع والحصول على الثمرة. وبعد هذا الكلام فقد خيم سكوت عام على المجلس.

ليس مرغوباً في المذهب الوهابي زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم. فهم لا يعتقدون بالاستمداد الروحاني منه [صلى الله عليه وسلم] بعد ارتحاله [إلى الرفيق الأعلى]. فزيارة القبور شرك. والحقيقة أن زيارة القبور لإصلاح الوضع جائز، وذلك بناءً على ما ورد في الصحيح من الحديث النبوي الشريف "زوروا القبور". غير أنه يحرم القيام بشد الرحال من مسافة بعيدة لعدة أشهر لزيارة القبور، كما هو الأمر لدى الشيعة في زيارتهم لقبر الإمام علي والحسين والإمام الرضي والإمام موسى الكاظم. وإذا طلبت امرأة من زوجها رخصة السفر للزيارة فإن على الزوج بموجب مذهب الشيعة منع تلك الرخصة حتى لو لم يكن معها محرم أو معين. فإن لم يمنحها الرخصة فإن لها أن تتطلق منه. فإن لم يطلقها زوجها فإن القاضي يطلقها منه رغماً عنه.

وبناء على الأحاديث النبوية الشريفة "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور"[69] و"لعن الله زائرات القبور والمتخذين"[70] فإن تكفير علماء الوهابية لأتباع سائر المذاهب الإسلامية، من الذين وقعوا في خطأ كبير من تقديم نوع من التقدير الخاص للقبور، والقيام بإيقاد القناديل لها، يُعد حقاً ينبغي التصديق لهم في هذا الصدد. ولذلك فإن على العلماء جلهم العمل وبذل الجهد لإزالة هذه البدعة غير الحسنة، ولا سيما ما تصل منها إلى درجة الشرك كتقبيل أبواب القبور ومسح الوجوه بها والتضرع والدعوة لها، كما هي موجودة لدى الشيعة على وجه الخصوص. فالتحذير من مثل هذه الأعمال والضلالات – التي اخترعها

(69) الصحيح هو : "لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" هذا حديث مشهور رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (61)، ح .1330 . تحقيق محمد علي القطب . بيروت: المكتبة المصرية، 1411هـ : 395 /1 (المترجم)

(70) الحديث ورد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه بلفظ - "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور" وورد مثله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.. أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الجنائز،باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (49) ، ح :. 1574 - 1575 . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (د.م) : دار إحياء التراث العربي، 1395هـ (1975م) 1/502 . (المترجم)

الأدلاء المعممون عند القبور ، دون الانتباه إلى المساويء التي تأتي من ورائها، بغية الحصول على الأموال من الزائرين – يُعد واجباً على الحكومة، ينبغي عليها وبشكل خاص على العلماء تنبيه الناس إليها.

ويقوم الشيعة أيضاً عند قبر سيدنا الحسين رضي الله عنه بأداء الصلاة بخشوع وتضرع متوجهين إلى قبره،خلافاً للحديث النبوي الشريف "نهي عن الصلاة ..."(71). إلا أن العمل بمقتضى الحديث النبوي الشريف "نهي أن يقعد على القبور"(72) جارٍ في منطقة نجد بحق . ومقابرهم مغطاة بقليل من التراب، ويستوي في ذلك الحكام والمحكومون، مما يتضح للإنسانُ المعتبِر أن المقبرة حقاً في مقابرنا عالم للمساواة. أما في مقابرنا نحن فلا تظهر أدنى مساواة من هذا القبيل، وبموجب الحديث النبوي الشريف "نهي أن يكتب ..."(73) فلا توجد أي نوع من الكتابات على القبور في نجد، فالكتابة على القبر في المذهب الشافعي والمالكي والحنبلي مكروهة، أما أئمة الحنفية فقد أفتوا بعدم وجود بأس في كتابة اسم الميت وتاريخ وفاته .

ليس هناك خلاف في الأذان، غير أنهم لا ينادون في آذانهم لصلاة الصبح بـ (الصلاة خير من النوم).(74) أما مؤذنو الشيعة فيضيفون بعد (أشهد أن محمداً رسول الله) [جملة] (أشهد أن علياً ولي الله، أشهد أن حسين وأولاده حجة الله)(75) . ليس هناك خلاف في الوضوء نهائياً. أما الشيعة فلا يغسلون أرجلهم، بل يكتفون بمسحها، وهم يستندون في ذلك على أن عمر رضي الله عنه كان يغسل رجله، وأن علي رضي الله عنه كان يمسح عليها. ولو افترضنا أن ذلك صحيح، فلماذا لا يقلد بعضنا بعضاً في أداء الصلاة؟ ألم يصلّ سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما معاً اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم؟ ألم يصلّ عليّ خلف عمر رضي الله عنهما كل تلك السنوات ؟.

ولا يقرأ الوهابيون دعاء القنوت في صلاة الوتر.(76)

---

(71) روى ابن عمر - "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى في سبع مواطن :في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الإبل وفوق الكعبة". أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المساجد والجماعات ،باب المواضع التي يكره فيها الصلاة (4): 1/36 .(المترجم)

(72) روي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأنْ يجلس أحدُكم على جَمْرة تُحرِقُه خيرٌ له من أن يجلس على قبر". أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (45)-1/944 ، ح-1566 و 1567 .

(73) رُوي جابر فقال: نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء، أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها (43)-1/ 498 ، ح :1563 (المترجم)

(74) هذا الذي يدعيه المؤلف غير موجود في نجد حالياً، ولا أظن ذلك فيما سبق أيضاً . (المترجم)

(75) ويضيف مؤذنو الزيدية بعد "حي على الفلاح" [جملة] "حي على خير العمل" فقط.

(76) القنوت تقرأ عند الحنابلة في صلاة الوتر عند النوازل . (المترجم)

وإن لم يكن هناك خلاف مع المذهب الوهابي في أركان الصلاة وآدابها إلا أنهم يتوقفون كثيراً بعد الاعتدال من الركوع.[77] يكرر الشيعة ثلاث أو أربع مرات بعد التشهد الأخير وقبل السلام جملة "خان الأمين وصدَّها عن حيدر"، وذلك بضرب اليد اليمنى على الركبة، والقصد من ذلك الطعن في جبريل عليه السلام،لأنه (حسب هذا الاعتقاد) أتى بالنبوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدلاً من علي رضي الله عنه .

يقوم الوهابيون بأداء صلاة الجمعة . أما فرق الشيعة :(الكشفي، الأصولي، الشيخي) فلا يصلون الجمعة، ما عدا فرقة أخباري، مستندين في ذلك على عدم جواز أداء صلاة الجمعة في فترة حكم الخليفة الظالم. والحقيقة أن المسلمين بموجب حكم الحديث النبوي "أحب الجهاد إلى الله تعالى [كلمة حق في وجه سلطان ظالم]" مأمورون بقول الحق للسلطان الظالم، وتوجيهه إلى الطريق السوي. فإن لم يسمع لذلك فلا طاعة له، وذلك بموجب الآية الكريمة ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾[78] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا طاعة لأحد [لمخلوق في معصية الخالق]"[79] ، وإلا فليس لنا إلا الدعاء لأولئك الذين يقومون بتشجيع الناس على المعصية، بأن يهديهم الله سبحانه وتعالى إلى الطريق الصحيح .

ويرى مجتهدو المذهب الوهابي عدم جواز أكثر من صف واحد في الجماعة مستندين على فكرة أن الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون صفاً واحداً. والحقيقة أن المساجد التي بُنيتْ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومازالت موجودة حتى الآن، تؤكد أنهم كانوا يصلون صلاة الجماعة بعِدَّة صفوف.

والاجتهاد الذي يذهب إليه مجتهدو هذا المذهب من قوله سبحانه وتعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[80] هو تمكين الله سبحانه وتعالى على العرش. وهم بهذا الاجتهاد ألا يقعون في خطأ تخصيص مكان معيّن لله سبحانه وتعالى؟[81] وفي هذا المذهب أيضاً لا يجوز

---

(77) من السنة أن يقول المصلي بعد الاعتدال من الركوع: "ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء، وأهل الثناء والمجد، وكلنا لك عبد ..."، ولذلك يحصل التوقف الكثير . (المترجم)

(78) الآية 151 و152 من سورة الشعراء . (المترجم)

(79) أخرج البخاري في صحيحه بمعناه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (8) : 9/113، بيروت :عالم الكتب ، (د.ت) .(المترجم)

(80) الآية 5 من سورة طه .(المترجم)

(81) ليس الأمر كما وصف المؤلف، ولكن من باب إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من علوه على خلقه، فقد ثبت "أن الله تعالى استوى على العرش" في سبعة مواطن في القرآن الكريم وثبت عن كثير من السلف أن الاستواء بمعنى العلو، وهذا هو مذهب السلف، وتؤيده الأدلة من الكتاب والسنة ..انظر للتفصيل : صحيح البخاري(كتاب التوحيد، باب استوى على العرش)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو للذهبي، وقطف الثمر لمحمد صديق .. (المترجم)

الاستعانة ولا الاستغاثة نهائياً بغيره سبحانه وتعالى، وهذه هي الحقيقة، لِمَا وَرَدَ في الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[82] وفي قوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[83] إلا أن الشيء المُؤكد منه هو جوازُ التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بناء على قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ [فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ]﴾[84] غير أن الوهابيين يفرطون في ادّعائهم حين يقولون إن حكم الآية الكريمة جارٍ في حياته صلى الله عليه وسلم، أما بعد مماته صلى الله عليه وسلم، فلا نفع منه لأمته؛ بل إنهم حين ينطقون بالشهادة، يتوقفون بعد "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، ثم يقولون "وأشهد أن محمّداً رسول الله". وهذا مستندٌ على فكرة الابتعاد من الشرك في الجمع بين لفظ الجلالة واسم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم لا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم[85]، وكانوا يقبحون عملنا في حالة قراءتنا لـ "دلائل الخيرات"، ذاكرين أننا نقدس كتاباً غير القرآن الكريم، وإذا قلنا لهم إن هذا الادعاء مغاير للآية الكريمة ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا [صلّوا عليه وسلموا تسليماً]﴾[86]، قالوا إن هذا الحكم الجليل كان في حياته صلى الله عليه وسلم. إلا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم، ما دامت السماوات والأرض، حيث إن أرواح الموتى لا تموت، وبخاصة روح النبي صلى الله عليه وسلم.

ومجتهدو الوهابية لا يقتدون في صلاتهم بأئمة المذاهب الأخرى[87] حيث يدّعون أنهم من أتباع الإمام جعفر الصادق. (فلما كنت في الشيخية ذات يوم الجمعة قام إمام الفرقة محمّد أمين أفندي أثناء وقت الصلاة بالصعود إلى المنبر لقراءة الخطبة، فقامت الجماعة الوهابية الموجودة في المسجد بترك الجامع).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه مجدد الدين، ويكفر فئة من المسلمين من بعد مرور خمسمائة سنة على الهجرة النبوية.[88] ويعتقد الوهابيون أن الجنة والنار باقيتان. والحقيقة أن هذا الاعتقاد واهٍ بقوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[89] والآية الكريمة

---

(82) الآية 5 من سورة الفاتحة. (المترجم)

(83) الآية 255 من سورة البقرة. (المترجم)

(84) الآية 64 من سورة النساء. (المترجم)

(85) هذا رأي المؤلف، وهو غير صحيح. (المترجم)

(86) الآية من سورة الأحزاب. (المترجم)

(87) حصل هنا نوع من الخلط لدى المؤلف، بين مَنْ يسميهم بالوهابية والشيعة، والظاهر أنه يقصد الشيعة. (المترجم)

(88) هذا الأمر ليس كما يدّعيه المؤلف، إذ مما ورد في العقيدة الطحاوية " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة ما لم يستحله". انظر للتفصيل: شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية لأبي العز الحنفي. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط2. الرياض: جامعة الإمام، 1400هـ، ص267. (المترجم)

(89) الآية 88 من سورة القصص. (المترجم)

﴿ كل مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ويبقَى وجهُ ربك [ذو الجلال والإكرام]﴾ [90] تدل على أن فناء الكل يكون بعد يوم الخلود.[91]

والوهابيون لا يؤمنون بكرامات الأولياء، مع أن كرامات الأولياء مذكورة في سورتي النمل والكهف[92]

وعقيدة بيع الجنة (صكوك الغفران) الباطلة غير موجودة في المذهب الوهابي. إلا أن أحد مجتهدي الشيعة المقيمين في مدينة الهندية ويسمى (قزويني) كان يبيع صكوك الغفران. وقد حزنت كثيراً لما صادفتُ في العاشر من المحرم سنة 1317هـ منظر مجيء القزويني مع جماعته إلى كربلاء لأجل الزيارة، والتي تنم عن الجهل؛ فقد كان أتباعه الحمقى العريانين ورؤوسهم الملطخة بالطين، كانوا يجرون وراءه وهم يضربون صدورهم. فتابعتهم حتى دخلوا مشهد الحسين، وقاموا بالطواف حول الصندوق مرات عدة خاضعين خاشعين، ثم رجعوا إلى أماكنهم. فلا يكاد يصدق الإنسان حماقة مثل هذا المنظر في الوقت الذي تتقدم فيه الإنسانية إلى الأمام، إلا بعد رؤيته رؤيا العين. وفي أثناء التفكير بأولئك مع الزملاء، مرّ من أمامنا أحد الفلاحين. فناداه أحد الحاضرين – وكان يعرفه – قائلاً له: الشيخ القزويني وضعك في جنته مع الشخص الفلاني. فقال المسكين بتهوُّر: قد قلت للقزويني ألا يجعلني جاراً له. فأخرج من جيبه صكاً، ثم قال: انظر إلى هذا، فإن كان صحيحاً ما تقول، أذهبُ الآن فأغيره. فنظر إلى الصك، فوجد اسم القزويني واسم المشتري[حامل الصك] مكتوبَيْن فيه. وفَهِمَ منه أن المذكور سوف يقدم الصك إلى حارس الجنة، وأن الحارس سوف يسوقه إلى الموقع الذي اشتراه بمائة وخمسين .. فقد وَجَدَ القزويني من ذلك تجارة رابحة له، ونسي في سبيل دنياه آخرته. لكن السؤال: لماذا لا تمنع الحكومة هذا التزوير؟

وعقيدة الوهابيين في الصوم مثل أهل السنة. أما الشيعة فيفطرون بمجرد طلوع النجم، ويصلون صلاة النجم. ويصلون صلاة المغرب في هذا الوقت، وبناءً على ذلك فهم يؤدونها بعد أهل السنة والجماعة بعشر دقائق. وهذا الاجتهاد مخالف للأحاديث النبوية "لا زال

---

(90) الآية 26 و 27 من سورة الرحمن. (المترجم)

(91) مذهب أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان، ولا يفنى أهلهما، لقوله تعالى في حق الفريقين ﴿خالدين فيها أبداً﴾ (الآية 23 من سورة الجن) والجنة دار أوليائه، والنار دار عقاب لأعدائه. وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم ﴿لا يُفتَّرُ عنهم ولا هُمْ فيه مُبْلِسون﴾ (الآية 43 من سورة الزخرف). وأما قوله واستدلاله بالآية الكريمة ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ونحوها من متشابه القرآن الكريم على فناء الكل، فليس بصحيح: لأن معنى الآيتين الكريمتين: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك.. للتفصيل انظر: شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص476 – 488، وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر، ص 138. (المترجم)

(92) الحقيقة أن ما ورد عن العلماء في العقيدة السلفية أنهم يؤمنون بكرامات الأولياء. راجع في ذلك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. (المترجم)

الخير [في أمتي ما عجلـ[وا] الفطور "(93) و"ثلاث من أخلاق المرسلين تعجيل الإفطار" (94) وإذا اغتسلوا في [نهار] رمضان أفطروا. والحقيقة أن التدقيق في اجتهاد مجتهدي الشيعة الذين يرون أن دخول الماء إلى المعدة من آثار المص بهذا الشكل غريب. وهم يتسحرون في رمضان في وقت مبكر.

ولا يجوز في المذهب الوهابي نكاح أكثر من أربع نساء، أما الشيعة فَيَرَوْنَ أن الواو الموجود في قوله تعالى: ﴿مثنى وثلاثَ ورباع﴾(95) واو الجمع، فيجوّزون نكاح النساء إلى تسع ويستدلون في ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج بتسع. غير أن أهل السنة يرون أن الزواج بأكثر من أربع خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم،وذلك منحة إلهية له،ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم في عهده الميمون منع أمته من الزواج بأكثر من أربع. أما العالم الهندي (حسن صديق خان) فيرى أن في نزول الآية الكريمة بجمع العدول مثنى ورباع حكمة شرعية، وهي تعني حسب اعتقاده تزوجوا ثلاث ثلاث وأربع أربع، بالجمع وعلى هذا فإن الرجل سوف ينكح بعدد لا يحصى من النساء،مما لا يمكن أن يقبله عقل كما أن شرط جمع العدول هو تعيين عدده، وقياس هذه الآية الكريمة على المثال الآتي الذي يدعي فيه أنه يستدل في ذلك بقاعدة عربية خطأ، حيث يرى أنه إذا اجتمع في محكمة خمسمائة مشتكٍ،لا يمكن محاكمتهم جميعاً في آن واحد،فيقال لهم ادخلوا:ثلاث ثلاث وخمس خمس.

والمتعة في المذهب الوهابي حرام،أما الشيعة فيعقدون الآن نكاحاً مؤقتاً يسمى المتعة مع أن الرخصة النبوية لهذا النوع من النكاح قد صدر لمدة ثلاثة أيام في غزوة خيبر،إلا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن التحريم النبوي لهذا النكاح،وقد نزلت بعد ذلك الآية الكريمة ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(96) فأيدت حرمة نكاح المتعة،ونظراً لكون المتعة نكاحاً مؤقتاً فليس ملكاً.

ولا يقرأ المولد النبوي الشريف في نجد(97) أما الشيعة فيقرأونه. غير أن بعض فرق الشيعة تقول أثناء قراءة المولد على سبيل التهليل بالبغض والكراهة التي ولدتها الجهالة: عمر

---

(93) ورد الحديث بلفظ: "لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفِطْرَ" و"الإفطار". أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الصيام، باب ما جاء في تعجيل الإفطار (24): 1/542، ح:1697 و1698. (المترجم)

(94) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمعناه، كتاب الصيام، باب ما يُستحبُ من تعجيل الفطر و تأخير السحور: 4/238 بيروت: دار المعرفة، (د.ت). (المترجم)

(95) الآية 3، من سورة النساء. (المترجم)

(96) الآية 6 من سورة المؤمنون. (المترجم)

(97) يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي بدعة عند أهل السلفية؛ لأنه أمر لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة والتابعون لهم، وهم خير القرون بعده صلى الله عليه وسلم. (المترجم)

الكذاب. ثم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا خلاف في تجهيز الميت وتكفينه في المذهب الوهابي، ولا يجوز عندهم قطعياً شتم الصحابة، أما عند الشيعة فيتم تلقينه أثناء تسليم روحه تلعين عائشة وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية [رضي الله تعالى عنهم أجمعين] ويزيد، وبذلك يتمون أنفاسه الأخيرة. ويغسلونه بأوراق شجر النبك[98]. وإن كان الميت أحد مجتهدي الشيعة فيتم عند دفنه وضع ورقتين، عليهما أسماء الأئمة الأثنا عشر في جانبي الميت.

ويجوز في المذهب الوهابي الأكل مع غير المسلم. أما عند الشيعة فلا يجوز لا الأكل ولا الشرب،بل إنهم يَتَوَقَّوْنَ حتى من مجرد الكلام مع اليهود والنصارى، وذلك لأنهم يعدون من المشركين،ويستدلون في ذلك بالآية الكريمة ﴿ إنما المشركون نَجَس﴾.[99] وقد كنت يوماً في كربلاء معزوماً في مناسبة ونظراً لكون راعي البيت سُنّياً فقد قدّم أولاً شربة الشعيرية،فلم يمسها علماء الشيعة الموجودون في العزومة،ولما سألت عن السبب أجابوا بأنها معمولة من قبل النصارى، فقرأ أحد الحاضرين الآية الكريمة ﴿وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌ لَكُمْ ﴾[100] وقال: ليست شربة الشعيرية المعمولة بيد المسلمين بل وحتى الأطعمة المطبوخة في منازل اليهود والنصارى حلال، فلما قال الشيعي: الطعام من اليابسات، أما المطبوخ فليس طعاماً، جرى بيننا الحوار التالي:

ح[101]- إذا كان كذلك فينبغي عليكم عدم تناول الحبوبات والأرزاق القادمة من الهند،مع أنكم تتناولونه بشكل عام نظراً لكونها قادمة من عند المجوس[102]، وهم أهل الكتاب.

ع[103]- قرأ جملة عربية فقال: إن المجوس من أهل الكتاب بمقتضى هذا الحديث.

ح- (حتى لا أطوّل الحوار) قلت له: ولو افترضنا أن الجملة التي قرأتها حديثاً، لماذا تأكلون السكر المستورد من أوربا؟

فقال: السكر يابس.

فقلت له: تعرفون كيف يصنع السكر، لأنه يوجد في طهران وفي تبريز مصنعين لصناعة السكر للأجانب. حيث يتم غليان القصب وتترسب المادة السكرية ثم يُجَمَّد،ويخرج هذا

---

(98) والصحيح النبق. وهو شجرة من الفصيلة السدرية قليلة الارتفاع أغصانها ملس بيض اللون تحمل أوراقاً متبادلة مُلساً وأغصانها صغيرة متجمعة إبطية،وثمرتها حُسْلَة حلوة تؤكل، وهي تنمو في مصر وفي غيرها من بلاد أفريقيا الشمالية. المعجم الوسيط/إبراهيم أنيس وزملائه: 2/ 898 (مادة نبق) (المترجم)

(99) الآية 28 من سورة التوبة. (المترجم)

(100) الآية 5 من سورة المائدة. (المترجم)

(101) الظاهر أنه اختصار من اسم المؤلف ((حسني)) (المترجم).

(102) والمجوس ليسوا من أهل الكتاب. (المترجم)

(103) الظاهر أن هذا الحرف مختصر من كلمة العالم. وهو هنا العالم الشيعي. (المترجم)

السكر،وبناءً على هذا فليس هناك أي فرق بين الشعيرية والسكر،فعجينة أحدها دقيق والآخر قصب،ولذلك فتحليل السكر وتحريم الشعيرية والمعكرونة يعد حكماً كيفياً.. وكان الحوار قد انتهى في هذا الأثناء .

والغناء والطرب واللعب في المذهب الوهابي حرام قطعياً، ويطلق على التتن (الدخان) (المخزي)، وشرب المخزي يعد من كبائر الذنوب . ولما افتتحت إيران في عهد خلافة عمر رضي الله عنه،بتدبير حكيم وهمة عالية من القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان قد توفي الملك(يزدجرد)،فانقرضت الدولة الساسانية وترك الفرس الديانة المجوسية ودخلوا في الدين الإسلامي .

وقد أسرت بنت يزدجرد "شهر بانو" فتزوج منها سيدنا الحسين رضي الله عنه، وكان الفرس القدماء يأملون من سلالة الملك يزدجرد إعادة استقلالهم، فكانوا لذلك يقدمون حبهم وتقديرهم لأفراد هذه الأسرة، فلما رأوا استشهاد عثمان رضي الله عنه، أرادوا الاستفادة من الفوضى التي حصلت في هذه الفترة، فدعوا الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة، ومع أن رغبتهم لم تتحقق، إلا أن سيدنا الحسين استشهد في الوقعة المشؤومة كربلاء، فخسروا بذلك الدنيا والآخرة. وبعد هذه الحادثة الأليمة بدأوا بتقديس ابنه زين العابدين من زوجته شهر بانو، وبذلك انتشرت فكرة الميل إلى الأئمة الأثني عشر ومحبتهم، وبغض المانعين علياً من الخلافة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية – رضي الله عنهم أجمعين- ويزيد، وعمَّ الكرهُ فيهم.

يتبين من ذلك أن الخلاف بين مذهب الشيعة وبين سائر المذاهب الإسلامية،لم يكن في أحكام الدين الإسلامي، وإنما نشأ بسبب رغبتهم في العودة إلى عاداتهم القديمة وإعادة استقلالهم،وهو مبني على الفكر السياسي، المتبع لأحكام مذهبهم القديم الزرادشتية .

وفي هذا الصدد أيضاً ظهر منذ سنتين أو ثلاث سنوات مذهب جديد باسم (بهوري) وهو فرقة من فرق الشيعة، ولا يعترف بستة من أئمتهم، ويعترف بالستة الباقين،والفرق بينه وبين الفرق الأخرى يكمن في اليسر والسماحة التي يضمنها لأتباعه في الأهواء والنزوات. وهناك تفسير مخفي عند بعض الشيعة، يتم تدريسه فيما بينهم. ومن محتوياته أن علياً رضي الله عنه سوف ينزل إلى الدنيا وستكون له الخلافة،وسينتقم أثناء خلافته من السنة، ولن يبق هناك مذهب سوى الشيعة.

ونظراً لكون الوهابيين يعدّون فئات من المسلمين مشركين،ويلقبونهم بـ(عبادين القبور) فإنهم يرون أن قتالهم حلال، وأن التعرض لأموالهم وأعراضهم مباح. وهم يسمون

أنفسهم مسلمين، ولذلك يقولون أثناء الدعاء والتضرع إلى الله " يارب المسلمين "[104].

المدارس

يطلق في نجد على العلماء : مطوع، والمطوع يوجد في كل قرية، حيث يقوم بالإمامة والخطابة، كما يقوم بتدريس أولاد القرية التي يقيم فيها. ومن تَعَلَّم القراءة والكتابة من الطلاب ورغِبَ في إكمال دراسته سافر إلى شقراء أو إلى الرياض لتحصيل العلوم الدينية، لأن علماء نجد المعروفين يقيمون في هاتين المدينتين ولا يتم فيهما تدريس العلوم الدنيوية البحتة. غير أن رغبتهم شديدة في دراسة التاريخ ولا تدرس مؤلفات العلماء من العالم الإسلامي،بل يقتصر على مؤلفات العلماء الوهابيين.ومدارسهم هي بيوت المطاوعة وإذا تعلم الولد قراءة حرف الألف بدأ برسم شكله بقلمه الذي يدخله في الكلس على السبورة السوداء. وهذه الطريقة متبعة في اليمن أيضاً وهي طريقة رائعة،حيث يتعلم القارئ الكتابة أيضاً أثناء ذلك،وعدد الملمين بالقراءة والكتابة من الحضريين قليل جداً، أما البدو فبشكل عام أميين.

الجنسية

سكنى منطقة نجد بشكل عام عرب، ولغتهم العربية، ويمكن عد الصّلب الذين يتجولون في هذه الصحارى من الغجر المهاجرين من الهند، ويتوقع أن تكون كلمة جنكانة (غجر) تحريفاً لكلمة هنديانة.

أصول الإدارة

يطلق في نجد على حكام المناطق أمير، كما يطلق على عمدة القرية أمير كذلك، فيقال أمير القصيم، أمير المحمل.. ويقوم أمير كل منطقة بتعيين أمراء القرى التابعة له، ويقوم أمير منطقة نجد أيضاً بتنصيب أمراء المناطق تلك.

وكان في السابق أيام أن تمكن آل سعود من الحكم في نجد كاملاً سُمِّي الحاكم فيها بإمام المسلمين، إلا أن محمد بن رشيد أفاد من ضعف هذه الأسرة فقام بالاستيلاء على هذه

(104) للاستزادة في هذا الموضوع انظر كتاب الشيخ إبراهيم السمنودي المنصوري بعنوان : سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية والمقلدة الظاهرية.

المنطقة وأصبح حاكماً عليها باسم أمير نجد. ونظراً لتعرف الناس في نجد على هاتين الأسرتين الحاكمتين فقد حاولت كل واحدة منهما الانتصار على الأخرى.
ونظراً لوقوع البدو والحضر المتوطنين في نجد آلة طيعة لرغبات هاتين الأسرتين في الوصول إلى الحكم، فإن الوقت الذي يمر عليهم دون عراك قليل جداً.
وتقوم كل أسرة بذكر عيوب الأسرة الأخرى لجذب الناس إليها، فتبدأ بالحكم لأصحاب المصالح مظهرة العدل والشفقة عليهم، وبعد وجود فترة استقرار في نجد واستتباب الأمن فيها فترة يسيرة، ومع مرور الزمن واكتساب الأسرة المعنية القوة اللازمة، وشعورها بضعف خصمها تقوم بتوسيع نفوذها وسيطرتها، إلى أن يصل إلى درجة لا يمكن معه أن يطاق الوضع، فيقوم عند ذلك بالرجوع إلى الأسرة التي كانت محرومةً من الحكم، فيتفقون معهم على العصيان في وجه الأسرة الحاكمة. فهذه هي أصول الحكم التي تجري في نجد، والبدو هم المستفيدون من هذا الوضع المتدهور حيث يقومون في كل مرة تحصل فيها فوضى بالميل إلى الطرف الذي تترجح كفته في الغلبة على الطرف الآخر ثم يقومون بالإغارة عليه ونهب أمواله فيؤمنون بذلك مصالحهم والمتضررون هم أهل الحضر حيث يتعرضون للنهب من قبل البدو من جهة ويتعرضون لسيطرة إحدى الأسرتين عليهم من جهة أخرى. ومما لا شك فيه أن هذه المنطقة إن شهدت إدارة عادلة وتحقق فيها الأمن والرخاء اللذان يفتقدهما الأهالي، فلن يقصّروا في تقديم خدمات جليلة بكل إخلاص.
لكن هيهات، فقد صدرت الإرادة السنية بجعل القصيم متصرفية تلتحق بولاية البصرة.
ونظراً لعدم التفكير في توفير متطلبات استتباب الأمن في المنطقة، فإن الإرادة المذكورة [أي المرسوم السلطاني] مثل غيرها من الإرادات السنية سوف تبقى على الورق. أما ابن رشيد الذي كان يأمل ترك المنطقة تحت إدارته كما كان في السابق وذلك بعد ضبطها وتخريبها بمعاونة الجيش فقد أغضبته العاملة الجديدة مما جعله يقوم بتهييج الأهالي وإزالة ميلهم للدولة ومحبتهم إياها فاستمر في إفساده، حيث بدأ بنهب أطراف منطقة القصيم، ونظراً لعدم منعهم من تعدياته تلك من قبل الجيش، فإن المواطنين هناك قد فقدوا أملهم في الدولة، وبذلك انتشرت فكرة أن الدولة سوف تقوم بضبط منطقة نجد مع ابن رشيد وتسليم المنطقة لآل رشيد وبذلك يحقق مقصد المذكور.
أما رغبة الدولة فهي عدم إزعاج ابن رشيد واستتباب أمن القصيم وهذا يستحيل تحقيقه لأنه من قبيل "الضدان لا يجتمعان".

الواردات

الأموال التي يتم تحصيلها في هذه المنطقة هي الخُمسُ من المحصولات الزراعية، الثلث من الأراضي الميرية. (الميرية : هي أموال الأمير السابق إذا انتقلت المنطقة لأمير لاحق).[105] ريال من خمسة إبل (والريال يساوي عشرة قروش. وأهل منطقة نجد لا يعرفون غير هذا النقد). إذا تم الاستيلاء على بلد بالقوة تعد من أموال بيت المال فيؤخذ منها الثلث، ومن كل أربعين شاةً شاةٌ.

وهناك ضريبة تؤخذ من التجار باسم "زكاة العرض"، وهي مقطوعة حسب تجارة وثروة كل قرية. فزكاة العرض [المفروضة] على مدينة بريدة ستمائة ريال، وعلى مدينة عنيزة ثمانمائة ريال.

أما زكاة الجهاد : فهي أن الأمير لما يريد الغزو، يقوم أهل كل بقعة [من البلد بتجهيز] هجين مع راكبه وإرساله إلى الموقع المأمور به. أما أولئك الذين لم يرسلوا هجيناً مع راكبه، عليهم إرضاء الأمير بدفع مبالغ مالية معيَّنة. ويطلق على هذا أيضاً اسم زكاة العرض.

وواردات الحجاج لإمارة الجبل : على كل حاج من الفرس عشرة، وعلى كل حاج من العرب خمس [ليرات] ذهب عثماني. ويتم تحصيل هذه المبالغ تحت اسم "تأمين الطريق" [أي توفير أمن الطريق]. (والحملة يعني المستأجر). وهو أن الحجاج يراجعونهم لاستئجار وسائط النقل، فيؤجرونها لهم. وكل صاحب حملة مجبر على توفير خيام الحجاج وأكلهم وشربهم، وحمل أغراضهم، وطبخ طعامهم وقوتهم في منازل الطرق. وسعر الراحلة الواحدة للحاج الفارسي ذهاباً وإياباً خمس وعشرون [ليرة]، وسعر الهودج أربعون، والتخت روان ستون [ليرة] ذهبية عثمانية. وسعر الراحلة الواحدة للحاج العربي خمس عشرة [ليرة] ذهبية عثمانية. وإذا اتفق الحاج مع صاحب الحملة ودفع له نصف المبلغ، أوصله إلى مكة المكرمة. فإن أراد العودة دفع له من مكة المكرمة النصف الباقي فعاد إلى المحل الذي ركب منه. [غير] أن أصحاب الحملات تلك أو وكلاءهم يقومون بالشحاذة من الحجاج، ويضيقون عليهم خلال الطريق، مما يدفع بالحجيج إلى الضجر منهم.

ويتم تعيين أميرين للحج كل سنة في إمارة الجبل. فيقومان بحمل السنجق العائد لـ"آل رشيد"، مع عدد كاف من المحافظين، ويغادرون حائل بحيث يصلون إلى النجف والسماوة أثناء اقتراب موسم الحج. وتجتمع هذه القوة في المدينتين، فتستريح لمدة أسبوع ثم تتحرك مع الحجاج. وهؤلاء أمراء الحج يتعهدون بتوصيل الحجاج إلى مكة المكرمة وإعادتهم إلى النجف والسماوة سالمين.

---

(105) هي في الأصل الأراضي التابعة لخزينة الدولة. (المترجم).

وكان هذا الطريق طريقاً آمناً لحجاج العراق والفرس، وذلك حتى عام 1324هـ. فكان يقوم اثنان وثلاثة آلاف حاج في كل سنة بأداء فريضة الحج. لكن لما بدأ الحجاج يتعرضون للظلم والجفاء، بسبب سوء إدارة "عبد العزيز آل رشيد"، قام مجتهدو الشيعة في النجف وكربلاء بإصدار فتوى "بحرمة طريق الجبل" لمن يريد الحج، وذلك لنجاتهم من الخطر المحدق بهم. كما قاموا بنشر الرسائل في هذا الصدد. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الحجاج الفرس باستخدام طريق الشام. (أما) الحجاج المجتمعون في الرياض من نجد والحسا وسواحل خليج البصرة فيقوم ابن سعود بترحيلهم. ويتم أخذ ستة ريالات من الحجاج العرب المجتمعين فيها، ومن الحجاج الفرس اثني عشر ريالاً، وذلك تأميناً للطريق. وأثناء حلول موسم الحج يقوم الإمام بتسليم السنجق لأمير الحج الذي تم تعيينه، فيتحرك مع المحافظين. والوهابيون الهنود الذين يودون الحج، يرجحون هذا الطريق، لزيارة محمد بن عبد الوهاب.

وفيما يلي جدول مبين للمبالغ التقريبية المتحصلة في منطقة نجد أثناء حكم آل رشيد عليها، وذلك من خلال المتابعة التي أجريتها أثناء وجودي مع عبد العزيز آل رشيد :

المناطق	الحبوبات بالصاع	التمر بالوزن
العارض	45,000	300,000
الجبل	20,000	250,000
المحمل	20,000	300,000
سدير	24,000	400,000
الوشم	32,000	350,000
الجوف	10,000	70,000
الحايط، والحويط، وتيماء	10,000	40,000
الأفلاج	30,000	120,000
وادي الأقصى	20,000	40,000
الفرع	30,000	200,000
الخرج	80,000	60,000
القصيم	320,000	900,000
عنيزة	10,000	30,000
المجموع	651,000	6,300,000

وتساوي الوزنة الواحدة، عشرين درهماً قديماً، والصاع يساوي 750 درهماً، وهذه الزكاة تساوي ما يقرب من أربعين ألف ليرة.

ويوجد ضمن الواردات العامة ضريبة الاحتساب : الجمرك الداخلي أيضاً. وهي تؤخذ من كل إبل محمّلة بمقدار خمسة ريالات، وعلى هذا الأساس يصل مقدار ضريبة الاحتساب لإمارة منطقة نجد بشكل عام عشرة آلاف ليرة.
وعلى ذلك تكون الواردات العامة على النحو الآتي :

أنواع الضرائب	بالليرة العثمانية الذهبية
حاصلات الأعشار	41,000
رسوم الحجاج	15,000
زكاة الإبل والأغنام	20,000
زكاة العرض	5,000
زكاة الجهاد	1,000
ضريبة الاحتساب	10,000
المجموع	92,000

وقد قام بتحصيل هذه المبالغ آل رشيد مدّة سبع عشرة سنة. غير أنهم اليوم مقيّدون بتحصيل حاصلات إمارة الجبل وحدها.
أما الأموال التي كان يأخذها آل رشيد من العشائر باسم الغزو في الحروب المتكررة، وبخاصة من الإبل فهي كميات كبيرة، وقد كوّنت مبلغاً كبيراً من الواردات.

المصروفات

كانت مصروفات أسرة [عبد العزيز] آل رشيد تتكون من : مصاريف الأكل لضيوفهم في القصرين الموجودين في حائل وبريدة، ومصاريف الملبوسات التي كان يقدمها لأتباعه كل ستة مرة، ومعاشات الأمراء الذين كان يعيّنهم على القصيم والعارض وعنيزة، ومعاشات المحافظين الذين كانوا في معية أولئك الأمراء الذين يمكن أن يطلق عليهم طايشين (متهوّرين). ومصاريف عبيده الذين كانوا معه بشكل دائم وملبوساتهم، وعددهم حوالي مائة شخص. ومصاريف أفراد أسرته، ومصاريف لبسه، والمخصصات السنوية لأسرة عبد الله الرشيد وأسرة عبيد الرشيد وأسرة السبهان. ولا يتجاوز مجموع هذه المصاريف سنوياً عشرين ألف ليرة.
أما المصاريف التي تصرف لكل غزوة وأكثرها مبلغاً فهي في الحقيقة في حالة التوفيق واردات كبيرة [وذلك بسبب الحصول على أموال الطرف الآخر].

الحياة في نجد

الخصائص الأخلاقية لهؤلاء القوم من العرب النجباء، وسخاؤهم، وحسن ضيافتهم من الأمور التي يثنون عليها ثناء عطرا. ومع تبدل بعض العادات التي يتميزون بها مع مرور الأيام، إلا أن المزايا الحسنة التي توارثوها من أجدادهم العظام مازالت موجودة لديهم بشكل عام.

ومع حدة أمزجتهم بشكل عام بسبب الموقع والجو، حيث وجود ابن الستين والسبعين بل وحتى الخمسين من الكهول فيهم قليل جداً. إلا أن إسناد ذلك إلى افتقاد الأمن في المنطقة أولى من إسناده إلى وخامة الجو؛ لأن هناك من العلماء والعجّز الذين لم يشتركوا في الغزو، ممن تجاوز المائة سنة.

وهم أقوياء البنية وأواسط القامة على الغالب. وألوانهم بتأثير من الجو والإقليم حنطية، وعيونهم وشعورهم سوداء. ومع عيشهم في هذه الصحاري الحارة، إلا أنه يتصادف وجود النساء البيض الحسناوات فيهم. ونساء قبائل عتيبة وهتيم والقصيم مشهورات بجمالهن. ولا يوجد بين البدو "قاج" (أي أن النساء يقابلن الرجال. وكلمة قاج بمعنى اهرب. والمعنى أن النساء لا يهربن من الرجال).

ولا تكثر في نجد بين رجالها ونسائها العادة المكروهة الوشم. وأهل العراق والبصرة ومصر يقومون بنقش بعض الرسوم على أجسامهم، وبذلك يقضون على جمالهم الطبيعي. وبشكل خاص نساء معدان يقمن بنتف رموشهن ثم يتوشمنها مع شفاههن، فتتخذ لوناً أزرق قاتماً، وبذلك يصبح منظر الواحدة منهن قبيحاً. مع أن الوشم فيما بينهن يعدّ زينة وحسناً وافتخاراً.

وقد تحكم الطواغيت في الجزيرة العربية فيما سبق. إلا أنه نشأ فيها من العقلاء المقتدرين فيما بعد، من يقوم بإجراء الأحكام العادلة، فأخذ الشعب من العادات الحسنة – التي كانت جارية أيام الطغيان – المتوافقة مع الحياة البدوية، وأصبحت بذلك مرعية مع عاداتهم القديمة.

ومن هذه العادات التي وقفت عليها في نجد :

ويعدّ القيام بخيانة الضيف والجار والأمانة عاراً كبيراً، يقومون بتشهير الفاعل .. لا يستخدم السلاح بين الأهالي بسبب اغتشاش حصل داخل البلد.. وإذا غرقت سفينة في البحر، يعدّ الأهالي المقيمون في السواحل المجاورة مجبرين على القيام بمساعدتها، إلا أن نصف الحمولة المخرجة لمن قام بالمساعدة.. ولا يُقتل السارق إذا كان بيده عصي، إلا أن

يكون بيده سلاح أو سيف.. ويقومون بقتل من يقدم على قتل الجَرحى والأسرى والمستسلمين، دون هوادة. ويتم الإعلان بين العشائر باسم القاتل، فيقال: فلان قاتل فلان، حتى إذا صادف أحدٌ القاتلَ قتله. ولا تستطيع عشيرة المقتول طلب دمه أو ديته، من طرف المقتول كائناً من كان القاتل.. ولا يقدمون القهوة في مضايفهم لمن يهرب أثناء المحاربة.. ويقوم الفارس الذي يتابع الهارب بمس رمحه في ظهره بشكل خفيف، والهارب الذي يُحس باقتراب العدو منه، عليه أن ينزل من فرسه ويسلِّم زمام فرسه إلى مُتعقبه، وعليه أثناء ذلك أن يذكر شجرة الفرس، فيصبح الفارس بذلك مديناً له في توصيله إلى المحل الذي يريد، إلا أن صاحب الفرس إذا اقترب من عشيرته فإن طلب العون منها أو الهروب إليها، يُعد عاراً عليه.. وإذا قامت عشيرة بنهب الأخرى، فإن عليها إعادة زمل كل بيت إن طلبت المنهوبة الدخالة منها. (الزمل: هي الإبل التي تحمل حمولة أصحابها من خيمة وغيرها).. ويُعدّ صاحب كل خيمة[106] مسؤولاً عن سرقات وسوء تصرف ضيفه الذي حل به خلال أربع وعشرين ساعة. (فعلى سبيل المثال إذا تحرك ابن سبيل بعد أن أطعم في خيمة، ثم قام بسرقة إبل قبيلة في الطريق، أو تعرض لإمرأة، أو قتل أحداً؛ فإن على صاحب الخيمة – الذي قَبِلَ ابنَ السبيل المتهم – القيامُ بمساعدة المتضرر. وهذه المساعدة عبارة عن توفير الهجين والبارود والأسلحة، التي تستخدم في تعقيب آثار المحكوم).. وفي الغزوات التي يقوم بها البدو – سواء شارك أميرهم في الغزو أم لم يشارك – فإن [القلع (الفرس)] والعبيد والإماء للأمير. (والقلع[107] : الفرس أو البغل الذي قتل صاحبه في الغزو). حتى ولو أن فرس المهاجم هَلَكَ في الغزوة وحصل على آخر، فإن عليه تسليمه للأمير. لكن مَنحَه الفَرَسَ الذي حصّلها في الغزوة عِوضاً عن فرسه، راجع إلى كرم الأمير. وليست للأمير حصة من البيوت والمواشي، أما المنهوبات الأخرى فَثُلثُها للأمير وتتم مراعاة القِدَم.

ومن الأشياء التي حصلت في نجد ما يحكى من حكايات غريبة، وهي مشهورة فيما بينهم وقد تم ذكر قصتين مختلفتين منها، ويمكن الحكم على مثل هذه القصص بالصحة، نظراً لتواتر انتشارها بين الناس :

دخل لص إلى بيت نساج[108]، فانضربت رأسه بالمزامير المنصوبة في الجدار من الخوف

---

(106) الخيمة عند البدو بشكل عام غير معروفة. والمعروف عندهم "بيت الشعر" أو "البيت". فاستخدام الخيمة عندهم نادر جداً. (المترجم).

(107) القلع: هو إسقاط صاحب الفرس منها حياً أو ميتاً، وأخذ فرسه أو حصانه. وغالباً يسقط حياً. (المترجم).

(108) استخدم المؤلف كلمة (جولجة) هنا والصحيح ((جولها)). وهي كلمة فارسية من ((جولاه)) بمعنى النسج. انظر: شمس الدين سامي: ، قاموس تركي، استنابول: إقدام مطبعة سي، ١٣١٦ ، ص ٤٢٥ ، مادة (جولها). (المترجم).

والارتباك، ففقأت إحدى عينيه، فبدأ بالصراخ والبكاء من الألم، فاجتمع عليه صاحب الدار والجيران، فقال اللص: ياجماعة، فقأوا عيني، أريد منكم غداً في المحكمة أن تشهدوا على ما رأيتم وذهب. ثم راجع المحكمة واشتكى صاحب الدار. وبعد سماع الدعوى حكم القاضي بفقأ عين صاحب الدار فلما تيقّن أن الاعتراض على الحكم لن يفيده شيئاً، قال: "أنا نساج، وبحاجة إلى العينين طول الوقت، أما جارنا فصيّاد، ولا يستخدم عينه اليسرى، فأنا مستعد لدفع الدية إن قبل بفقأ عينه بدلاً مني. وبذلك نكسب الإثنان مهنتنا بحكمكم العادل فأخذ الحاكم برأيه، وأوتي بالصياد ففقأت عينه اليسرى، وسلّم النساج الدية له.

والحكم الثاني: أن أحد الفقراء مرّ على صاحب مطعم كان يشوي اللحم، فاستأذنه في أن يضع خبزه الجاف – الذي أخذه من أحد المحسنين – على البخار الصادر من اللحم، حتى يلين قليلاً واستمر على هذا الوضع عدة أيام، فلما تيقّن صاحب المطعم أن البخار الذي أفاد منه المسكين نافع، منعه من ذلك، بل إنه حَسِبَ الأيام التي أفاد الفقير من بخاره، لكل يوم قرش، وطلب منه مجموع المبلغ، فطال النزاع بين الإثنين، وذهبا للقضاء فحكى صاحب المطعم دعواه. فطلب الحاكم منه المبلغ الذي طلبه دون أن يسأل الفقير شيئاً، فأخذه ثم قدّمه للفقير واضعاً النقود على الطاولة، الواحد تلو الآخر، وكلما عدّ واحداً قال لصاحب المطعم: صداه [الصوت الذي تخرجه القطعة المعدنية أثناء وضعه على الطاولة] لك. ولما انتهى من العد التفت إلى صاحب المطعم وقال له: دعواك مثل هذه تماماً، ثم طرده من مجلسه..

ونظراً لعدم إمكانية البحث عن قاعدة أو نظام في الأحكام الكيفية، فلا يستبعد صدور مثل هذين الحكمين المختلفين من حاكم.

[سرعة البداهة والعُرْف في نجد]

يعد الأهالي المقيمون في الجزيرة العربية من البدو والحضر مخيّرين في اختيار أحد الشخصيتين لحل النزاع الواقع فيما بينهم، وهما الحاكم الجبري، والحاكم [القاضي] الشرعي. فالحاكم الجبري يطلق على الأمير. حيث إنه ينفذ الأحكام التي أصدرها حسب رأيه بقوة. وحاكم الشرع هو العالم، وتنفيذ الأحكام الشرعية أيضاً يعود إلى الحاكم الجبري.

وغير أولئك الحكام يوجد بين العرب العارفين. وهم أصحاب الذكاء الخارق والخبرة. ويقومون بهاتين الملكتين بإقناع المدعي له والمدعى عليه بأسلوب لطيف. ولما أنهم يظهرون في حل المسائل نوعاً من النبوغ والعبقرية، فإنهم مشتهرون أكثر من غيرهم.

وكما يوجد بين أكثر القبائل من العارفين من اشتهر في نطاق قبيلته، فهناك أيضاً من العارفين من كسب الرأي العام، حيث يتجه إليهم الناس من مسافة عشرين يوماً أو شهراً، لحل مشاكلهم. وممن يعرف بعارف زمانه اليوم رئيس منتفق (فالح باشا)، ورئيس عشيرة زوبع (ظاهر الحمود).

ولمعرفة ما يقوم به العرفاء من حل لمشاكل الناس وتقديرهم، ينبغي الاطلاع على بعض صورها. وفيما يلي مثالان على ذلك :

كان علي [رضي الله عنه] يشتهر بين العرب بالعرف،[199] وقد روجع في يوم من الأيام، لتنفيذ الوصية الآتية:

كان لرجل سبعة عشر من الإبل، وقد أوصى أثناء احتضاره بدفع الثلث منها [لابنه] الكبير، والتسع للوسط، والنصف للصغير. فحاول الأولاد الحصول على الإرث بعد وفاة والدهم، حسب ما أوصى به. ولما لم يستطيعوا حلها فيما بينهم راجعوا أهل العرف المجاورين لهم، وفي نهاية المطاف اضطروا للذهاب إلى علي – رضي الله عنه –، فحكوا له القصة، فأتى علي – رضي الله عنه – بإحدى إبله وأضافها إلى مجموع إبل الأولاد، فأصبح المجموع ثمانية عشر. وبدأ بالتقسيم حسب الوصية: فأعطى ستة منها للكبير، واثنتين منها للوسط، وتسعة منها للصغير، ثم أعاد إبله التي أضافها في البداية.

والمثال الثاني: هو أن أربعة أخوة اتجهوا إلى عارف زمانه "أفعى الجُرْهُمي" لما يئسوا من الوصول إلى حل لتنفيذ وصية أبيهم، وأثناء سيرهم في الطريق قال الكبير: "إخواني، انظروا لقد مرَّ من هذا الطريق إحدى الإبل وهي ذات عين واحدة". وقال الثاني: "وكانت عرجاء". وقال الثالث: "ولم يكن لها ذَيل". وقال الرابع: أيضاً: "وكانت هاربة من صاحبها". وبعد فترة من الزمن أثناء سيرهم قابلوا صاحبها، فسألهم: هل رأيتم أثناء سيركم ناقة ؟ فردّوا عليه: فقال الكبير: هل كانت بعين واحدة؟ ، وقال الثاني: هل كانت عرجاء؟ ، وقال الثالث: هل كانت بغير ذنب؟، وقال الرابع: هل هربت منك؟. فردَّ عليهم: بنعم. فقالوا: لم نرها، إلا أن آثارها في هذا الاتجاه فقال صاحب الناقة بِحِدَّة: لقد عرفتم كافة أوصافها، فكيف تنكرون رؤيتها؟ فتمسَّكَ بهم بإدعاء أنها عندهم، فذهب معهم إلى الجرهمي، واشتكاهم له، فسألهم الجرهمي. فقال الكبير: لما كانت تأكل الأعشاب الموجودة في الجهة اليسرى من الطريق، وتترك ما في اليمنى قلت: هي فاقدة العين اليمنى. فقال

---

(199) لم أستخدم هنا كلمة العرافة، لكونها تدخل ضمن باب التنجيم الذي حرمه الله. ولا يمكن قيام علي (رضي الله عنه) بشيء من ذلك. ولذلك فقد آثرت استخدام كلمة العرف، التي قصدها المؤلف، وإن استخدم مصدر الفعل (عارفه لك) بالعثمانية الذي يقابل بالعربية ((العرافة)). (المترجم)

الثاني: رأيت آثار ثلاثة أرجل للناقة سليمة، والرابعة غير سليمة، فقلت هي عرجاء. قال الثالث: استنتجت من آثار وقع أرجلها على الأرض أنها بغير ذنب. قال الرابع: لما رأيت أنها تأكل الأعشاب الكثيرة ولا تمس الأعشاب القليلة (المهلهلة) قلت إنها هاربة من صاحبها. وبناء على تلك الأجوبة قال العارف لصاحب الناقة: اذهب وابحث عنها، فليست عند هؤلاء ...

ولما ذهب الرجل أراد الجرهمي تكريم الأولاد لشدة ذكائهم وفراستهم، فقدّم لهم طعاماً واختبأ، علّه يسمع منهم ما يدور بينهم أثناء الأكل فقال الكبير: عُمِل هذا النبيذ من شجر نبت على قبر. وقال الثاني: هذا اللحم أُشرِبَ حليب الكلب. وقال الثالث: يبدو أن والد صاحب الدار رجل آخر. وقال الرابع: لم نتحدث حتى الآن كلاماً يفيدنا.

[وقد سمع الجرهمي كل الكلام الذي دار فيما بينهم بحيرة شديدة] فدخل على أمه وسلّ سيفه ليتحقق مما قيل. فاعترفت أمُّهُ أنها كَسَبَت تلك الأموال للجرهمي من رجل آخر. فسألها عن النبيذ، فاعترفت جاريتهم بأنها عَمِلته من العنب المعلق على قبر أبيه. وتحقق من الراعي عن الذبيحة، فأخبره بأنها لما كانت في الأسبوع الأول فقدت أمها، ونظراً لعدم وجود حلوب آخر فقد أرضعها من حليب كلب.

فألح الجرهمي على الإخوة الأربعة سر وصولهم إلى هذه النتيجة، وفراستهم الفائقة. فذكر الأول: شدة الحرارة التي انتابته من النبيذ. وقال الثاني: لاستشمامه رائحة الكلب من اللحم. وقال الثالث: لعدم جلوسه[أي صاحب البيت] معهم على المائدة.

وبعد أن استحسن الجرهمي كلامهم وقدّر فراستهم قال لهم: لما كنتم بهذه الفراسة والنبوغ، ما القضية التي أدت بكم إلى قطع مسافات طويلة مدة شهر كامل؟

قال الكبير: لم نستطع تنفيذ وصية والدنا بعد وفاته، ولم يستطع العراف المجاورون لنا حلها، لذلك اضطررنا إلى المجيء إليك.

قال الجرهمي: ما هي وصية والدكم؟

قال الكبير: قال والدنا: القبة الحمراء وأمثالها لابني الكبير، والأغراض السوداء لابني الثاني، والخادمة وما شابهها لابني الثالث، ومجلس الندوة لابني الرابع.

فقال الجرهمي: الذهب والإبل الحمراء للابن الكبير؛ والفرس والبغال السوداء للثاني؛ والخادمات والخدام والجواري والعبيد للثالث؛ والأراضي والفضة والنقود للرابع.. ثم استودع الأخوة الجرهميُّ وعادوا من حيث قدموا..

ويظهر من ذلك أن العراف وأصحاب الفراسة يشتهرون باستنتاجاتهم التي يتوصلون

إليها من قبيل الكرامة. والحقيقة أن الفراسة توأم الكرامة، أو يمكن القول إن الفراسة ظل الكرامة..

العادات المتبعة في الغزوة في نجـد

يُطلق البدو اسم الغزوة على العادة السيئة التي يقومون فيها بنهب الأموال من بعضهم البعض. ومع أن الغزوة بين المسلمين مذمومة، غير أنه بالنظر إلى أن الرؤساء هم المستفيدون منها، ولذلك فلا يريدون تركها. وبسبب هذا البلاء الذي يسمى بالغزوة، فإن القتال بين العشائر لا ينتهي أبداً؛ فأرواحهم وأموالهم معرضة للخطر في كل لحظة. فالقبيلة التي كانت تملك خمسة آلاف أو ستة آلاف بعير قبل ساعة، قد تصبح بحاجة ماسة إلى طاس من حليب الإبل، في اللحظة التي تنهزم في الغزوة أمام قبيلة أخرى..

إذا أراد أمير الجبل الغزو جمع الأكابر، فسُجلت أسماء المشتركين فيها، وأعلنت في اليوم الثاني. ولا يستطيع المسجلون في الغزوة إرسال غيرهم بدلاً عنهم، كما لا يُقبل البدل النقدي منهم (ويقبل البدل من حضر المناطق الأخرى إذا كانت تحت إدارتهم، ما عدا منطقة الجبل).

وإذا كانت القرى سوف تشارك في الغزوة، أرسلت للأهالي فيها خطاب وُضّح فيه عدد المشاركين منها ومكان الاجتماع.

ويتم تعيين رئيس على كل خمسة أو ستة أشخاص، يطلق عليه اسم "خبرة" و [رؤساء] هؤلاء الخبر عادة ما يكونوا معروفين.

وفي اليوم الثالث من الإعلان يقوم المشاركون بشكل عام بعرض عسكري أمام الأمير.

يتم دفع عشرين إلى ثلاثين ريالاً لـ[رؤساء] الخبر، وثمانية إلى خمسة عشر ريالاً لغيرهم. وتوزع الأموال من قبل الأمير شخصياً حسب مكانة كل واحد. فيقوم الأفراد بذلك المبلغ بتوفير حاجيات السفر، ويتم بعد توزيع المبالغ المالية تسليم زمام ناقة من إبل الأمير [الخاصة] بالجيش لكل نفرين. ويعطى لكل نفر بندقية من نوع المارتيني، أو البندقية النارية مع عشر رصاصات.

ويعطى لكل خبرة من الخبراء القادمين ببغالهم، ناقة. أما حاجيات السفر الأخرى فكل واحد من أفراد الخبرة يكملها لنفسه. وعلى كل صاحب خبرة أن يحمل خيمته، حيث ينام فيها مع رفاقه.

وإذا تم إشراك البدو في الغزوة، التحقوا بالحضر في اليوم المحدد. إلا أنهم لا يعطون المال

والسلاح والإبل، غير أنه يوزع عليهم الرصاص.
وإذا اشترك في الغزوة من آل رشيد أسرة عبد الله، وعبيد، وجبر والسبهان الحاكمة، أعطي لكل فرد منهم ممن يشترك فيها، ما بين مائة إلى مائتي ريال، حسب مكانته.
ويقوم فرسان العشيرة – المتجمعين للغزوة أو في المكان الذي اجتمعوا فيه للحرب يوم مجيئهم – بإلقاء التحية للأمير أثناء العرض العسكري، حيث يمدح كل فارس – وهو راكب على فرسه – الأمير أثناء مروره من أمامه دون أن يوقف فرسه.
وإن كان البدو قدموا بأسرهم، فبعد انتهاء العرض العسكري تقوم بنات الرؤساء ونسائهم بالجري على هجنهم، ثم يتوقفن في جوار خيمة الأمير. ويقدم ما بين خمسة إلى عشرة ريالات بخشيشاً لكل عمّاري، وريالاً أو ريالين لمن يمسك بزمام الذلول أو يدفعه من الخلف.
وفي نهاية توزيع الإبل، يقوم كل خبير بحمل خيمته إلى خارج البلد، وينصبها هناك فيقيم فيها يومين، ثم يبدأ بالتحرك.
وفي حال الانتصار في الغزوة يقوم عبيد الأمير بالإحاطة بالأموال المنهوبة، ثم يمر كل واحد من المشاركين فيها أمام الأمير مع الأموال التي حصل عليها، فإن أراد الأمير أخذها وإلا تركها. أما ما وقع بيد الرؤساء من الغنيمة فلا يأخذ الأمير منه شيئاً.
وإذا أحرز النصر في الغزوة يتم توزيع أربعة إلى ثمانية ريالات أخرى على الحضر بعد العودة منها، ثم يرخص لهم بالانصراف.
ويجتمع البدو بعد انتهاء الغزوة أثناء عودتهم منها في مضيفة شيخهم. ويقوم الشيخ بتوزيع القهوة على ضيوفه بيده. وإذا كان الذي يقدّمُ له القهوة قد أبلى بلاءً حسناً في الغزوة مَدَحَه الشيخ. أما إن كان ممن خاف من العدو في المعركة، ذمّه الشيخ وفرق القهوة الموجودة في الفنجان أمامه على الأرض.
[هنا فقرتان لم تدرجا في هذه الترجمة، لمخالفتهما للواقع، بموجب رأي المتخصصين وأهل العلم والخبرة].

[العبيد في نجد]

ونظراً لفقدان الأمن في منطقة نجد، فإن امتلاك العبيد يعد ضرورة لا بد منها لمن يعيش عيشاً رغداً. وقد اكتسب العبيد في هذه المنطقة سمعة جيدة، لوفائهم وإخلاصهم الذي يتحلّون به لأسيادهم. وبما أن الأمراء والشيوخ يقومون بتنفيذ مآربهم عن طريق

عبيدهم، فإنهم بحاجة ماسة إلى حمايتهم. وقد كان عدد عبيد عبد العزيز آل رشيد يتجاوز المائتين.
وليس من العادات المتبعة في الجزيرة العربية منح العبيد حرياتهم. بل وحتى أولاد العبيد أيضاً مما ملكت الأيمان. إلا أنه يتم إطلاق العبيد الخواص في خدمة الأمير في حالة وفاته.

[أبراج المراقبة في نجد]

يبنى في مدن وقرى نجد ما يطلق عليه برج المراقبة "مرقب". وهو مخروطي الشكل الناقص، وارتفاعه ما بين عشرين إلى ثلاثين متراً. ويقوم شخصان في أعلى البرج في كل يوم من الصباح إلى الزوال، ومنه إلى الغروب بمراقبة المنطقة وترصدها. فإذا ما أحسَّ الحارس بتعرض خارجي قام بهز العَلَم الذي بيده وصرخ في الوقت نفسه بأعلى صوته، منبِّهاً الأهالي بالخطر. فإذا ما سمعوا ذلك أخذوا أسلحتهم متَّجهين إلى خارج البلد، لحماية مواشيهم ومزروعاتهم ونخيلهم، وبذلك يمنعون البدو من نهب أموالهم.

[وشم الإبل في نجد]

ويُعَدُّ النجديون مهرة في معرفة تغيير لون إبلهم وأشعاره. فيقومون للتعريف عليها بوسم إبلهم من مختلف الأماكن، بحيث لا يمكن أن يبدلّها السارق فيما بعدُ، وهم يسمون هذا الختم بالوسم. ويختلف وسم قبيلة عن أخرى وهي معلومة لديهم.

[من آداب اللبس والتعامل في نجد]

يُربي شمر شعورهم فيظفرونها إلى شقين ويتركونها على صدورهم. ويقوم المشتهرون بالشجاعة في نجد بارتداء شماخ مصنوع من الجوخ الأحمر، أو أنهم يعلقون أشعاراً برأس رماحهم.
وهؤلاء القوم شعلة من الذكاء في بعض الأمور؛ إلا أنه يتغابى عن شيء لم يره؛ فإننا لمّا وصلنا إلى قرية الكهفة لأول مرة، علق البواق بوقه بإحدى الأشجار وبدأ يستريح تحت ظل شجرة. فاجتمع الأهالي يشاهدون البوق، غير أنهم لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً، فكان كل واحد منهم يُشَبِّه بشيء ما، إلا أن رأيه لا يجد قبولاً عاماً من الحاضرين. وقد خرج أحد العقلاء من بينهم فقال: ألم تعرفوه ؟ يضعون التبغ في فتحته الكبيرة ويدخنون من الطرف

الضيق. وقد وجد هذا الرأي قبولاً عاماً فانتشروا في لحظته. لأن قتل شارب المخزي [المدخن] جائز. ولذلك فمشاهدته أيضاً يعد ذنباً كبيراً.
وهم لا يستخدمون الصابون. ويغسل الحضر ملابسهم بالتراب[110]. أما ملابس البدوي فلا ترى الماء. ولا توجد الحمامات في منطقة نجد.. ويقيلون بعد الزوال لمدة ساعة أو ساعتين. وإذا استيقظوا من نومهم اغتسلوا بماء بارد. وهم يهتمون بأخذ غسلة بماء بارد كل يوم.
وآداب الحديث لأهل نجد بحضرهم وبدوهم على درجة عالية من المدح والثناء. فلا يوجد عندهم الشتم أبداً، كما أن أغلظ ألفاظهم في أشد حالات الحدة لا يتجاوز "سلط الله عليك".

الجراد في نجد

وقد تلف المحصول الزراعي في تشرين الأول من عام 1320[111] بالكامل، بسبب الجراد، ولم يُسمع من الأهالي أي شكوى وتُعد الجراد عندهم غذاءً لذيذاً. ويعتبرونها فاكهة الصحراء، فيأكلونها بشهية. وإذا زادت الجراد من أكلهم قدَّموها للأفراس والبغال.
وخسارة الجراد التي يطلق عليها (الدبى) [112] – وهو أول ظهور جناحيها – كبير جداً على المزروعات. فيقوم الأهالي بفتح خنادق كبيرة في اتجاه تحركه أي الدبي، حيث يمتلئ به الخندق بعد فترة، فيغطونها بالتراب، وبذلك يتخلصون منه. وهذا النوع من الجراد لا يؤكل، لا من قبل الإنسان ولا الحيوانات.
وأثناء ظهور الجراد يتجه الأهالي بمراكبهم وإبلهم إلى موقع مبيتها، فيملؤنها في الأكياس الكبيرة، وينقلونها إلى منازلهم وخيامهم. وهناك يقومون بإغلاق الأكياس بشكل محكم، ويضعونها في ماء مغلي ومملَّح، ثم يخرجونها فيُشمِّسونها ويجففونها. وإذا كانت الكمية المجففة زائدة عن حاجتهم لمدة سنة، فإنهم يقطعون الرأس والجناحين والرجلين، ويطحنونه كالدقيق، فيتناولونه كالتسالي، حيث يأكلونه مع التمر. وطعم الجراد يشبه طعم صفار البيض. وألذه ما كان قبل أن يبيض[113].
وتقوم الجرادة بوضع بيضها على محل مرتفع بحيث لا يصيبه السيل، فتغطيه بسائل

---

(110) هذا حسب رأي المؤلف. (المترجم).
(111) هذا بالتاريخ الرومي. ويقابله بالتاريخ الهجري 1322 هـ (1904 م) . (المترجم)
(112) الدَّبى- الجراد قبل أن يطير، أو أصغر ما يكون من الجراد. المعجم الوسيط. مرجع سابق: 1/ 271 مادة (دبى) (المترجم)
(113) من هذا القيد يبدو أن المؤلف أيضاً قد ذاقها. (المترجم)

لزج، بحيث يصبح هذا السائل مع مرور الزمن طبقة رقيقة، وتؤدي وظيفة الكيس. وفي سنوات الجفاف لا يُحْيي البيض، غير أنه يبقى دون أن يخرب. ويحيى في الأيام الممطرة خلال اثنين وعشرين يوماً. فيفقس البيض، ويخرج في هيئة الدودة ويبدأ بالعيش.

ولا يترك الجراد الذي ترعرع، الموقع الذي نشأ فيه قبل أن يترعرع غيره من الجراد الذي ما زال في حالة الدود. فإذا ما قوي وبدأ بالمشي قامت جميعه بالهجوم على المراعي.

والجراد الذي نشأ في نجد يتجه دائماً إلى العراق والبصرة.

وجراد الجزيرة العربية كبير الحجم وسمين. وإذا ما بدأ الطيران بعد تكوين جناحيه، بدأ بالتزاوج. وتبيض الجرادة كل شهر في مدة حياتها. وفي كل مرة تترك ما يقارب من تسعين بيضة. والجراد التي نشأ في الربيع يبدأ في الطيران، غير أنه يتلف في حر الصيف. أما الذي نشأ في الشتاء فيعيش.

وإذا ما أراد الجراد قطع النهر الذي صادفه، بعد أن أصبح ذا جناح، أفدى بما تحته من جراد، واجتاز. لأن خمسة من الجراد يستطيع السباحة على ميتة الجرادة الواحدة.

ونظراً لعدم مقدرته على التحرك أثناء التزاوج في ليالي الشتاء، فإن الأهالي يراقبون هذا الوقت لجمعه.

وفي أثناء جلوسي في الخيمة، وقعت عيني على جرادة التصقت بطرف الخيمة فوجدتُها تنتفخ، ثم رأيت جرادة أخرى خرجت من فمها وطارت، فقمت لأخذ الجلد المتبقي فرأيت الرياح قد طيَّرته، فحكيت القصة للأهالي، فقالوا: إنها فقست الكيس وخرجت في حالتها الدودية، وهي تبدل جلدها ولونها وشكلها خمس مرات خلال خمسة وأربعين يوماً (فهي تتحول إلى دبى بعد اثنين وعشرين يوماً، وتبدأ بالمشي).

[المأكولات في نجد]

النجديون أهل قناعة وتوكل. وحسب ظني فإن الطعام الذي يشبع به رجل وسط في جهة العراق، يكفي لثلاثة من النجديين. ويشتهر أهل القصيم بكثرة الأكل.

وطعام النجديين عبارة عن الرز الموضوع في صينية كبيرة وعليه اللحم المطبوخ، ثم تُصَفّ الطاسات المليئة بمرق اللحم في أطراف السفرة. وأحب الأطعمة عندهم التمر وحليب الإبل.

والنجديون لا يألفون الخضروات، ما عدا أهل القصيم. وتناول الفواكه قبل الطعام يَعُمّ في هذه المنطقة أيضاً. (وهذه العادة جارية في أهل إيران وأفغانستان والهند). ولا يتناولون الثوم أبداً، كما أنهم لا يأكلون البصل الأخضر، إلا إذا كان مطبوخاً مع الطعام بكمية قليلة.

ويطبخون الرز مع مرق اللحم، وبذلك لا يستخدمون السمن، إلا في حالات نادرة لطبخ اللحم.

وهناك ما يسمى بـ "حَبْحَبْ أبي جهل" ينبت في الصحراء بكثرة في السنوات المطرة. فيقوم الأهالي بجمعه ووضع بذرته في الماء وغليه ثلاث مرات، وفي كل مرة يغيّرون الماء حتى تذهب مرارته ومضرّته، ثم يطحنونه مع الدقيق فيأكلونه.

ويقوم الأهالي بوضع الملح في الدقيق للحفاظ عليه من الخراب. وإذا كانوا في الطريق فهم يعجنون الدقيق على جلد، ثم يضعونه على النار التي أصبحت جمرة ويغطونه بالنار من فوق أيضاً. وبعد استوائه ينظفونه ثم يُفَتِّتُونه على الجلد فيخلطونه بالسمن ويأكلونه..

ويتم تجفيف التمر بعد نضجه وإخراج نُواته في الشمس؛ لأن التجفيف بهذه الطريقة يجعل التمر لذيذاً وصالحاً للأكل فترة أطول. أما في العراق فيتم قطف التمور قبل الاستواء، ثم غليها في الماء، ثم تجفيفها فحفظها، وتلك الطريقة تؤدي إلى إصابة التمور بالسوس ولا يكون لذيذاً.

[القهوة في نجد]

والنجديون مولعون بالقهوة، حيث يحمصون البُنَّ دائماً وهو طازج ثم يطحنونه ويشربونه. ولعَمل القهوة هناك ثلاثة أنواع من الدلال في أحجام مختلفة، والرابع دلة مزيج القهوة. وهم يسمونه "شريت"، ويغيّرونها في الأسبوع مرة. وفي بعض الأماكن نظراً لأنه يختمر بسرعة، فيتم تجديده خلال يومين أو ثلاثة أيام.

ويوضع "الشريت" في أكبر الدلال أثناء عمل القهوة، ويصب عليها الماء، ثم يوضع البن الطازج في هذه الدلة، ويتم غليه حتى تنتهي رغوته. حيث يصفى في الدلة الثانية ويختمر. وإن وجد الهيل طحن، وأضيف قليل منه إلى القهوة. وإذا تم الانتهاء من مزيج القهوة، وضعوها في الدلة الصغيرة، فوزعوها على ضيوفهم. ومقدم القهوة يشربها مع ضيفه، وبذلك يتذوق طعمها. ويعد اتباع هذه العادة بين العرب واجبة، حتى يطمئن الضيف. ويصب القهوة في الفنجان إلى الثلث، ثم يقدمها الصباب باليد اليمنى. وعلى الشارب أن يأخذها باليمنى ويردها بها كذلك. ونظراً لكون الفناجين بغير ممسك، فيضعها الصباب في يده اليمنى، داخلة بعضها في بعض. وتقدم القهوة إلى أن يكتفي الضيف بقوله "كافي". أو أنه يهز الفنجان في يده عدة مرات، كما هو متبع. ويتم شرب القهوة بعد تخفيف الحرارة، وذلك بتحريك الفنجان إلى اليمين واليسار.

وإذا نفدت القهوة، قاموا بالحفاظ على ما تبقى في أسفل الدلة بوضعه على دلة الزبيع، وبذلك لا يبذّرون في صرفها.

[قرد الإبل في نجد]

قرد الإبل ثلاثة أنواع: يطلق على النوع المستخدم للجمل "حداجة"[114]. وعلى النوع الذي يستخدم للجمل والركوب "غبيط"[115]. والذي يستخدم فقط للركوب "شداد". ويطلق على المرتبة التي تربط بالشداد من الأمام "مسودة". حيث يقوم الراكب بوضع رجله اليمنى - من أمام الشداد - على ركبته اليسرى ويرخيها، فتقع عل المسودة، ويرخي الرجل اليسرى إلى الأسفل. وإذا تعب من وضعه ذلك بدل إحدى رجليه بأخرى.

وهناك نوع من الظلال يستخدم للنساء، ويسمى "عماري" يربط بالشداد. فإن كان العماري خاصاً لركوب نساء المشايخ يتم تزيينه بأنواع من الزينة.

وعلى كل راكب أن يحمل بيده خيزراناً، ليستطيع توجيه ناقته أو إناختها. وعند الرغبة في تخفيف سرعتها أو إيقافها وإناختها، يتم وضع الخيزران على رأسها لإجبارها على الإناخة.

وإن كان عدد الركبان على الإبل اثنين، الأول على الشداد والثاني على المؤخرة، يطلق على القرد في هذه الحالة "مردوف".

ويوجد لكل خيال زينة خرجته. ويقوم بتعليقها في طرفي الخرجة من الثقب الموجودة بها. وهناك كيس من الجلد بطول متر ونصف المتر، يوضع فيه السيف والخيزران، ويتم تعليقه بالجهة اليمنى من الخرجة.

ويبعث البدو بإبلهم إلى مراع تبتعد عن موقع إقامتهم مسافة خمس أو ست ساعات.

ولا ينبغي أن يُعتقد وجود الماء في مواقع سكنى البدو أو قريب منها، بمجرد رؤية خيامهم أو نارهم من بعيد. فإنهم يحلّون في مواقع، يسهل الدفاع فيها، ويكون المرعى قريباً منهم. ونظراً لكونهم يشربون حليب الإبل، فلا يحتاجون إلى الماء كثيراً. وتكثر الحالات التي يمر فيها الركبان عليهم، ويطلبون منهم كأساً من الماء، فيعتذرون من عدم وجوده. لأنهم يحملون الماء فقط لطبخ الرز وسقي المواشي. وحتى الرز، يطبخونه إذا حل بهم ضيف.

---

(114) الحدج: الحمل، ومركب من مراكب النساء كالهودج والمحفّة. المعجم الوسيط. مرجع سابق. 1/160 مادة (حدج). (المترجم).

(115) الغبيط: ما يوضع على ظهر البعير لتركب المرأة فيه. وهو وعاء ذو عدلين، كالخُرج يوضع فيه التراب أو السماد، تحمله الدابة إلى الحقل أو منه. المرجع السابق: 2/643. مادة (غبط). (المترجم).

[النخوة العربية في نجد]

توجد بين القبائل العربية في نجد صيحة لكل قبيلة، تدل على التعاون والتشجيع فيما بينها، وهي معروفة لديهم. فشمر يقدمون النخوة بصيحة "سنا عيس"، وأهل القصيم وعشيرة عنزة بـ"أولاد علي"، وفخذ برية من عشيرة مطير بـ"السعران"، وفخذ علوى بـ"الجبلان"، وعشيرة عتيبة بـ"ابن روق"[116]، وعشيرة الدواسر[117] بـ"أولاد حسن" أو "المساعرة"، وعشيرة مثيم بـ"أخوة عيتجة" [هكذا].

ولتعظيم الشخص بين العرب ينادونه باسم أكبر أولاده، مثل "أبو فالح" حتى ولو كانت بنتاً. وخير الخلف من الأولاد ينادى مضافاً إلى أبيه، مثل "ابن خلدون"، وذلك تكريماً لوالده.

وفي منطقة العراق ينادى الشخص العقيم الذي لم يُخلف بـ أبو فلاح. ومن العادات الجارية في منطقة اليمن أن يذهب الشخص – الذي سُمي باسمه ولدُ أحد أحبابه – إليه بالهدايا.

[الأعلام في نجد]

يوجد في نجد لكل فخذ من العشائر الموجودة بها علَم يخصه. وينبغي ألا يستغرب الإنسان عندما يجد كثرة الأعلام في الاجتماعات العامة، فيظن أنها تدل على زيادة القوة والنفوذ.

ولون علم آل رشيد الأزرق الفاتح، وأطرافها باللون البنفسجي. وقد كُتب في وسطه عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ويوجد فوقها سيف باللون الأبيض. وعلم أهل القصيم مثل ذلك تماماً.

وعلم أهل العارض باللون الأخضر، وفي وسطه "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وعَلَم آل سعود باللون الأخضر، وفي وسطه [الآية الكريمة] "نصر من الله وفتح قريب"، وتحتها عبارة "إمام المسلمين".

أما الأعلام الأخرى فهي بشكل عام باللون الأحمر أو الأبيض.

[الأملاك في نجد]

من الأصول الجارية المتبعة بين العرب الاعتبار بالقِدم؛ ففخذ الجعفر من قبيلة شمر لما كان

---

(116) ابن روق: عزوة خاصة بالروقة من عتيبة فقط. ولا تشمل كل عتيبة. وربما عزوة عتيبة العامة "عتيبة يا رفاقة" أو "عتيبة الهيلا".

(117) أولاد حسن أو المساعرة نخوة أو عزوة لرعين فقط من روع وأخاذ الدواسر الكثيرة. (المترجم).

أول فخذ هاجر من وادي "تكيث" إلى منطقة "الجبل" وسكنت بجوار "أجا": فإنها متقدمة في المكانة على الفخوذ الأخرى، التي هاجرت فيما بعد[118].

(وفي حادثة وقعت أمام أميرهم، طلب من المدعي إثبات بينته. فسأله الأمير: منذ متى كانت [الأرض] تحت تصرفك؟ رد عليه البدوي بقوله: كانت الأجا قد نعجه. أي يوم أن كان جبل أجا بقدر نعجة. ويعد هذا مما يضرب به المثل عند شمر اليوم).

ومن الأمور الغريبة أن هذه الصحاري الخالية من الماء والسكنى، مقسومة بين البدو. ولا يستطيع أحدهم التعرض على مُلك الآخر، أو التصرف فيه. فالجهة الغربية من جبل أجا، لعبدة والدغيرات؛ والشرقية للصايح. والبدو لا يزرعون أراضيهم، ولا يسمحون للحضر بزراعتها[119].

[المبالغة لدى النجديين]

يعد أهل نجد على درجة عالية من المبالغة. وفي يوم من الأيام وكنتُ في مجلس عبد العزيز الرشيد، قلتُ لهم: جاء أعرابي إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] فقال:[120] "يا محمد أيزني المسلم؟ أيقتل؟ أيسرق؟ فقال [صلى الله عليه وسلم]: أليس إنساناً، قد يقع في مثل هذه الأخطاء. فقال الأعرابي: يا رسول الله أيكذب المسلم؟ قال النبي [صلى الله عليه وسلم]: لا، لا يكذب الإنسان المسلم". وبعد هذه المقدمة، فقد أخبرتهم أننا تجولنا معاً في هذه الصحاري منذ أكثر من سنة، أستطيع القول إنني لم أسمع كلاماً صحيحاً.

فقال عبد العزيز الرشيد: قد دفن أمير "العيون" الصدق في نجد منذ زمن بعيد. فقد جمع أمير العيون الناس في يوم من الأيام، ودفن بهم شجرة نخل يابسة في خندق كبير، ثم التفت إليهم قائلاً: أيها الناس، كان هذا الصدق، فدفن.

[تتبع آثار الجريمة في نجد]

يوجد من بين بدو نجد كثير من الخبراء المهرة في تعقب آثار الجرائم. فمما يحكى أن عجوز[اً]

---

(118) ليست هناك هجرة لأفخاذ قبيلة شمر إلى الجبل. بل إنها عشائر طائية، جمعها بطن الجبليين، بعد نزوح طي من اليمن، فيما يقدر قبل سنة 500 قبل الإسلام. (المترجم).

(119) هناك خليط من عشائر عبدة والصايح في نواحي أجا ووسطه، عدا أن شرقيه الجنوبي لعبدة، وشماله للصايح. أما الدغيرات بطن حسكم من عبدة من طي. (المترجم)

(120) أخرج ابن أبي الدنيا في "الصمت" عن "أبي الدرداء، قال يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال: لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من إذا حدث كذب". الصمت – ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد أحمد عاشور.– القاهرة: دار الاعتصام، 1406هـ، ص 243. (المترجم).

فقيرة من أهالي قرية "الكهفة"، خرجت مع بنتها إلى الصحراء لجمع الحطب. فقام رجل ذميم الخلق بتتبع آثارهما، وفي مكان مناسب وقع على البنت ثم قتل العجوز، حتى يقضي على آثار الجريمة. فذهبت البنت إلى الأمير مشتكية. فوظف الأمير أحد البدو المعروفين بخبرتهم في تتبع آثار الجريمة، وأرسله مع البنت إلى محل الحادث. فتفحص الآثار ثم تجول في المنطقة لمدة أربعة أيام مع عبيد الأمير. وصادف المجرمَ فأشار إليه، [فقبضوا عليه] العبيد وأتوا به إلى الأمير . فسأله عن جرمه، فأقر به، فأمر بقتله.

[هنا فقرة لم يتم إدراجها، لكونها قصة غير حقيقية، وغير مفيدة].

[التحمل على العطش وقوة الذاكرة]

نظراً لكون الرمال باردة في ليالي الصيف، فإن الأهالي ينامون على الرمال. أما البدو فيدخلون أجسامهم ماعدا رؤوسهم في الرمل وينامون، دون أن يكون عليهم شيء من الملابس.

ويستطيع أهالي هذه المنطقة تحمل العطش في الحالات العادية ما بين ثلاثين إلى أربعين ساعة.

وقد حكى لصاحب هذه السطور "غنيم" ابن شيخ "البوية" أثناء الرحلة إلى قريتهم القصة الآتية:

في يوم من الأيام وأثناء تجولي في الصحراء صادفتُ غزواً . ففررت مسرعاً أسوق ذلولي إلى الصحراء فنجوت. وقد تجولت في الصحراء ثلاثة أيام حتى وصلت إلى خيام إحدى العشائر. وشربت قليلاً من القهوة ثم أغمي عليّ..

ومع ما في هذه القصة من المبالغة بسبب طول الفترة، فقد ذكر عبد العزيز الرشيد أنه لما غزا على قبيلة مطير التي كانت تتجول في منطقة الكويت، لم يضع في فمه ماءً خلال اثنتين وثلاثين ساعة. فإذا كان الإنسان الذي عاش حياة رغيدة يتحمل هذه الفترة، فإنه يمكن التصديق بأن أحداً من البدو يستطيع التحمل أكثر.

يستطيع البدو رؤية وملاحظة حركات أعضاء الإنسان الذي يبتعد مسافة ساعتين أو ساعتين ونصف منهم. ويظن أن رؤية حركات إنسان في مسافة عشرة أو خمسة عشر كيلو متراً بعيد الاحتمال. إلا إنني لما أنقل الحادثة الآتية بتحقيق شهادة ضابط عسكري، فقد تصدقونها:

لما كانت مفرزة عسكرية في مهمة تعداد الأغنام في البادية الشامية المواجهة لمدينة

الناصرية، أخبر أحد البدو – وكان يعمل دليلاً مع الجيش – ضابطَ المفرزة أن راعياً في الجهة الفلانية – وأشار بإصبعه إلى الجهة – يقوم بتهريب الأغنام، وعباءته تتحرك. فنظر الضابط بمنظاره إلا أنه لم يرَ شيئاً . ومع ذلك أرسل أربعة من الأدلاء بتعقب الراعي المذكور، بخيولهم السريعة. فوصلوا بعد نصف ساعة إلى الراعي، وقبضوا عليه مع قطيعه. فقام ضابط المفرزة بتحقيق القضية من الراعي بغية التأكد. فاعترف الراعي بأنه حرك عباءته لجري المواشي، وأنه رأى الجيش من هناك..

وحضر النجديين أيضاً ذوو أنظار ثاقبة. فمن الأشياء المتواترة التي تتكرر روايته : أن الحراس الواقفين على الأبراج، عادة ما يقومون بإخبار الأهالي قبل وقوع الغزوة بثلاث وأربع ساعات.

وهؤلاء الأهالي الذين يعيشون في هذا الفضاء الفسيح، يحافظون على أنظارهم لأنهم لا يصادفون مانعاً يحدد من خطوط الإشعاع، ولا يُتعِبون عيونُهم في القراءة والكتابة، وبشكل خاص لا يتلفون أنظارهم بالتنوير الصناعي مثل الشمع والغاز.

وقوة الحافظة والذكاء لديهم عالية. لكن السبب في ذلك أنهم لا يشغلون أذهانهم بشيء. وأظن أن أذهانهم لو تعبت بالدراسة [في المدرسة]، فلا يبقى ذلك الذكاء ولا قوة الحفظ.

[الإعلان عن الانتصار في الغزوة]

في أثناء حصول انتصار، فإن الأمير يرسل المبشرين إلى الأطراف، وتفتخر القبائل بكثرة مبشريها، وذلك للدلالة على قوة نفوذ القبيلة وعدد رجالها. فإن كان المحل الذي أرسل إليه المبشر من لواحق إمارتهم، فإنه لما يصل إليه يقوم بسوق ذلوله بسرعة، رافعاً صوته بأنهم انتصروا في الوقعة، ثم يدخل البلد. فيقوم أمير البلد مع الأهالي باستقباله وتكريمه، وإجراء احتفال بهذه المناسبة. ومن الأصول المتبعة تقديم المال والكساء للمبشر من لدن الأمير، ويدل الاهتمام بالبشير وتقديم الهدايا له على محبة الأمير المرسل.

[سير القوافل في نجد]

والقوافل التي تتجول في الصحراء ، تستريح قليلاً في وقت الضحى لشرب القهوة، وقبل غروب الشمس تصل إلى منزل تحل فيه الليل، حيث يطبخ الأكل وتعد القهوة ثم تخمد النار قبل الغروب. والسائرون في القوافل يهتمون بعدم إشعال النار في الليل اهتماماً كبيراً، حتى لا يظهروا موقعهم للغزاة المارين بالليل.

الأصول العامة للطبابة في نجد

بما أن النجديين يقومون بتكميل احتياجاتهم من خلال جمالهم، فإن دواء أمراضهم أيضاً هو حليب الإبل وبولها. و"الكي" كذلك من الأشياء المستخدمة عندهم للتداوي.
وقد أرسل "إبراهيم بك" و"عبد الحكيم أفندي" – من أطبائنا [العثمانيين] الماهرين – إلى بغداد للقيام بالتدقيق في أصول الكي. غير أن هذه الهيئة رجعت [بخفيْ حُنين] ولم تستفد شيئاً، نظراً لاعتمادها على السماع. فإن كانت الدولة جادة في الإفادة من أصول الكي، فينبغي عليها ابتعاث بعض الأطباء الشباب الماهرين إلى شيوخ عنزة وشمر، ليقوموا بالتجول في هذه الصحاري مع البدو، وجلب المتخصصين، وتدقيق العمليات التي يقومون بها، والاطلاع عليها. ثم يقوم كل طبيب بتقديم تقريره الذي أعده منفصلاً عن الآخرين. فإذا قام المجلس الصحي بالنظر في هذه التقارير، وصل إلى نتيجة مثمرة.
وأصول التداوي في نجد التي اطلعت عليها سواء بالمشاهدة أو السماع هي:
يتم كي الشريان الموجود تحت وفوق الصدر الأيسر، في أمراض ذات الجنب [الرئة].
ويؤخذ الدم من الشريان الأخير من إصبع اليد اليسرى، فإن لم يخف المرض يتم كي الإصبع الذي أخذ منه الدم.
وفي أمراض الكبد يتم قطع ذيل النعجة بالكامل وهي حية، ثم يقسم إلى قسمين مسطحاً، ويلفُّ به المريض على محل الكبد، بحيث يبقى الطرف الخارجي من الذيل ذات الشعر في الخارج، وذلك لمدة أربع وعشرين ساعة. فيرفع الذيل من على المريض، ويظهر على جسمه بقع سوداء، فيتم كي أطراف هذه البقع بإبر احمرت في النار. ثم يأخذ المريض بالحمية الشديدة لمدة أسبوع . أما معالجة محل الكي فيتم بالمرهم بعد ذلك.
وفي مرض السيلان يتم كي الشرايين المحاذية للإصبعين الصغيرين لكلا الرجلين.
ويتم تداوي أمراض التيفوس وأمراض الحمى وكافة أمراض الرأس بعملية كي، ما يسمى " المخمس". وهي :

1– مجمع العروق وهي الحفرة الواقعة في الرأس الصغير.
2– في الحد المشترك بين عظم الجمجمة والجبين.
3– 4– الشريان الواقع خلف الأذنين.
5– خلف قمة الرأس قليلاً .

وفي مرض الاستسقاء وفقر الدم يتم إسقاء المريض حليب الإبل التي أنجبت أول مرة. (وحليب الإبل التي أنجبت أول مرة يكون حلواً).

أما الذين يشتكون من أمراض في المعدة، فيقومون بشرب بول الناقة (البكرة)، التي لم تحمل بعدُ. وذلك ثلاث حفنات في المساء، ومثلها في الصباح.
وممن لم يتعود شرب حليب الإبل، فإنه يعد مسهلاً قوياً له، إلا أنه نظراً لعدم إفادة البدو منه في الإسهال، فإنهم يخلطونه بقليل من بول الإبل. حيث يستخدمونه في دفع الانقباض.
كما أنهم يغسلون رؤوسهم ببول الإبل؛ لأنه يقضي البيض من الأشعار (الصحيح: يطهر الشعر من الصيبان)، ويساعد على نموها بسرعة.
إلا أن أهم العمليات الجراحية هو القيام بقطع الأمعاء وضبطه ووضعه في محله. وهذه الطريقة من الجراحة اكتشفت حديثاً. واكتسب المكتشف في أوروبا شهرة كبيرة. على الرغم من أن هذه الطريقة كانت معلومة في نجد منذ آلاف السنين.
يقوم جراحو نجد بخيط أمعاء الإنسان برأس النمل. وبما أن الخيول في نجد غالية أكثر من حياتهم، فإنهم مهرة في تداويها. حيث يقومون بإجراء عملية على الخيول التي لا تنجب على النحو الآتي: يُقرصون بالنمل الأماكن المقطوعة أو الساقطة أو المثقوبة من رحم الفرس. فإذا مسكت النمل قطعوا رأسها عن جسدها. ويطبقون هذا النوع من الجراحة التي تحتاج إلى الخياطة، على أمعاء الإنسان. ومما يروى بشكل متواتر أن هذه العملية تجري بنجاح باهر.
وقد قال "عقبة بن نافع" بحق كلاماً بليغاً: كل شيء كان موجوداً في الأول.

معلومات عن الخيول والبغال

فرس البدوي أغلى من أهله. فهو يُربيه معه في خيمته. ولا يظهره لأحد. وإذا طلب منه بيع فرسه، فإن ذلك يُزعجه كأنك تطلب منه روحه. وإن اضطر إلى بيعه باعه. لكن بشرط أن يبقى فحل من نسله حصة له، بحيث يحصل فيما بعد على وليد أنثى منه. ونظراً لعدم اهتمام البدو بالنقود حتى الآن، فإن الحصول على فرسه يتطلب إرضاءه بالحاجيات الضرورية مثل الإبل والغنم والخيل، والدقيق والرز والتمر والسمن والقهوة والخيمة.
ويتم تزاوج البغال في شهر أيلول (سبتمبر)، حتى تلد في الخريف من العام المقبل، لكثرة الأعشاب فيه، وذلك لئلا تتعب في تنشئة وليدها. ويتم بعد الولادة بسبعة أو ثمانية أيام تلقيح الفرس مرتين في اليوم: صباحاً ومساءً. وإن لم يكن هناك خدش في الثديين، عُرف أن البغل لم تنجب من قبل. ويتم إخراج الفرس من الثالث عشر إلى السادس عشر إلى البر لرؤية القمر، حتى تعرف رغبته في التلقيح. وهناك بعض البغال تُظهر رغبتها في التزاوج إلى

حين الولادة. غير أنها لا تقبل عليها فرساً.

وإذا ولدت البغل تقتلع نعالها، وتركب بعد خمسة وعشرين يوماً. واقتلاع البغال لزيادة لبنها.

وإذا ترك البدو حيواناتهم من البغال والخيل ترعى في الصحراء، ربطوا زمامها بركبة الرجل الخلفية. ولهذا السبب فإن وجود آثار الحبل في الركبة، يدل على أن هذا الحيوان من ممتلكات البدو.

وربط الحيوان بالوتد، يؤدي به إلى الإسقاط، كما هو واقع في كثير من الحالات. ولذلك فإن البدو لا يربطون الحيوان بالوتد، بل يقومون بوضع وتد في الأرض بحيث لا يظهر منه شيء. ويكون هناك حبل مزدوج من الحرير مربوط به. فيتم ربط زمام الحيوان بالحبل المذكور.

أما ركوب الفرس، فيتم في السنة الثالثة من عمرها، والبغل في الشهر العشرين. ونظراً لكون البدو يركبونها قبل ذلك، فإن حيواناتهم تبقى صغيرة الحجم. ويتم تزاوج البغل بعد السن الرابعة، والحصان بعد الثالثة.

و[البدو] يتركون الحيوانات التي تشترك في السباق في موقع يبتعد عن محل أكلها بساعة. دون أن يكون عليها شيء أو حتى زمام. ثم يمسكونها من عنقها ويتركونها بنعرة "حباك". فتبدأ الحيوانات بالجري بأقصى سرعتها بالطبع. ويلاحظ الواقفون في جهة العلف [نهاية السباق] الحيوان الذي وصل قبل غيره. وهم يطلقون على الأول "مجلي" وعلى الثاني "مصلي" وعلى الثالث "مسلي" وعلى الرابع "تالي" وعلى الخامس "مرتاح"(121).

المواصفات المقبولة في الخيول والبغال

يعدُّ الفرس مقبولاً في القامة إذا كانت المسافة التي تقع بين شفته العلوية إلى أجدافه متساوية مع المسافة من أجدافه إلى نهاية ذيله.

المسافة من طرف شعره الواقع على حوافره إلى الركبة إذا ضرب ثلاثة، فإن المجموع يساوي ما سيكون عليه المُهر من ارتفاع القامة بعد ذلك. (أما في نجد فلا يعتد بهذه المواصفات). والدابة التي لا يقل ارتفاعها عن 1,40 متراً تعدُّ مقبولة. أما إذا كانت أكثر من

---

(121) خيل السباق عشرة: مجلي، ومصلي، وتالي، وبارع، ومرتاح، وحظي، وعاطفة، ومؤمل، والسكيت، والفشكل. الأمير محمد علي – كتاب عن تربية الخيول العربية – مصر - الجمعية الزراعية الملكية، 1936م. ص 37 (المترجم)

1.50 فإنها طويلة القامة.[122]

وينبغي أن يكون رأس الدابة متناسباً مع جسمها؛ رأسها وجبهتها بارزة، وعيونها كبيرة مثل [عيون] الظبي، وفتحات الأنف كبيرة وواسعة، وأذنيها مثل أذن الظبي طويلتين ورفيعتين، وتكونان ثابتتين؛ لا قريبة من بعض ولا بعيدة، وألا تهتز أثناء مشيها، وتكون واسعة الصدر، فخذاها مليئان باللحم مثل أفخاذ الإبل، وأن يكون الظهر قصيراً (ويفضل في البغال أن يكون الظهر طويلا)، ومقدمتها تكون أرفع من مؤخرتها (حيث تجري بسرعة أكثر). وأن تكون الأرساغ قصيرة وثخينة (فإن كانت الأرساغ رفيعة ومرتفعة كما في الخيول الإنجليزية، فإنها تركل برجلها الأرض، حتى ولو أنها تجري طويلاً، إلا أنها نظراً لكونها ضعيفة فلا تستطيع الصمود في المسافات الطويلة). وإن كان لون الرسغين أسود دل ذلك على قوتها. وأن تكون الأظافر سوداء (فإن كانت بيضاء فهي ضعيفة، وتتفلق أظافرها بسرعة). وينبغي ألا يتجاوز ذنبها – إذا أطبقت ظهرها – عظم الفخذ (فهذا النوع يجري [مسافات] طويلة).

وإن كانت يداها وإحدى رجليها محجلة[123] فيطلق عليها "مطلق اليمين" ويعتقد أن صاحبيها ذو رزق واسع. [فإن كانت عكس ذلك[124]] تسمى "مطلق اليسار" وهي مرغوبة.[125] وكلما وطيء الحيوان بأقدامه إلى الأمام أكثر، بحيث تتجاوز خطواته جبهته، فإن ذلك يدل على ثبوته في مشيه المنتظم.

والخيول البيضاء المحجلة بالسواد مقبولة.

المواصفات السيئة في الخيول والبغال

المنسية: تطلق على الخيول التي يتكوّن شعرها خطاً، بدءاً من أجدافها باتجاه الرقبة،

---

(122) جاء في كتاب: الجواد العربي، من أوصاف الخيل: قصر ساقيه، وصغر كعبيه، وطول وظيفي رجليه. الجواد العربي، لمؤلف مجهول. تحقيق محمد التونجي.- الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، 1413هـ/1993م. ص 44(المترجم)

(123) إذا أصاب البياض القوائم كلها فاستدار حتى يأخذها أو يطيف بها كلها فهو "محجل أربع". وإذا كان التحجيل بالرجلين قيل "محجل الرجلين". وإذا كانت واحدة قيل "أرجل" يمين أو يسار. وإذا كان في يد مخالفة قيل "شكال". وإذا كان البياض بيد ورجل من جانب واحد دعي "ممسك الأيامن" مطلق الأياسر. وكذلك إذا كان في اليسار دعي بها. وإذا ابيضت يد واحدة وعلا بها التحجيل قل أم كثر قيل "أعصم". وإذا كان التحجيل في اليدين ولم يكن في الوجه بياض دعي بالمعصم أيضاً. وإذا كان بوجهه وضح فهو محجل اليدين. أنظر: الجواد العربي. ص 60 (المترجم).

(124) استخدم المؤلف الجملة السابقة نفسها هنا، فرأيت أنه خطأ، وذلك لعدم التقاء الضمين، ولذلك تصرفت في الجملة حسب ما رأيته صواباً (المترجم).

(125) إذا كانت اليد اليمنى والرجل اليسرى محجلة فإن العرب تعد مثل هذا النوع من الخيول مشؤومة. انظر: قاموس حياة (التركي). ص 612 (Hayat Sozlugu, (Iskil mad) (المترجم).

والعكس، أي أن يكون ذلك الشعر معكوساً.

الشقزيق: ويطلق على الخيول ذات الشعر النامي في الصدر باتجاه معاكس، مكوناً خطاً. فإن كان هذا الخط يصل إلى ما بين اليدين يسمى مشؤوماً. فإن لم يكن طويلاً إلى هذا الحد فلا بأس.

كوم: وهو الخط الذي يمتد من موضع القلادة إلى طرق البطن (ولا تعدّ هذه الصفات مكروهة في الخيول البيض).

إسباول: وجود عظم مدور زائد في الركبة من القوائم الخلفيتين. وقد يكون في الركبة الواحدة.

نجمة: وجود الشعر على الجبهة في شكل نجمة، متجهاً إلى الخلف. فإن كانت النجمة ثلاثة فلا بأس. وإن كانت اثنتين فلا تقبل، إلا إن كانت بينهما مسافة أصبع، فيقبل.

طيره: العظم المدور الموجود على ركبة القوائم الخلفية.

ترابية: البقع السود على الحوافر.

لطامات: وجود البقع السود على شفايف الفرس الأبيض.

باغة: الانتفاخ الموجود على الرسغين.

عظم: وجود العظم بين المرافق والأرساغ من الأيدي.فإن كان هذا العظم على العظم الأصلي من الأمام، فإن هذا لا يعد عيباً في الدابة. أما إن كان في الخلف بين الجلد والشرايين فهذا لا يعدّ مقبولاً.

فضوليات: وجود القواطع الزائدة في الفم، مما يؤدي إلى عدم الإقبال على الأكل. ولذلك فينبغي أن تكسرها.

شيوكل: يكون في القوائم الخلفية. وإذا ما تعبت الدابة فإنها ترفع رجلها أكثر من الرفع الطبيعي.

تابوت: [ويسمى أيضاً دائرة النعش، وهي من الدوائر المكروهة في الخيول]، وهي الشعر النامي على الجبهة باتجاه معاكس مكوناً خطاً إلى الخلف.

وإن كانت مؤخرة الرس أرفع من مقدمته، فإنه لا يكون قوياً. والخيول التي يوجد حوالي عينيها وفمها بعض الشعر فإنها تكون غير مقبولة كذلك.

تداوي الحيوانات

لتداوي جروح الحيوانات يُمسح بها السمن الطبيعي، أو يتم تحميص الشعير والبن والتمر

بكميات متساوية، ثم تخلط معاً وتوضع على الجرح. فإن كان الجرح عميقاً يتم حشوه بالبارود، وإن كان خدشاً سطحياً يتم ضماده ببول الإنسان.

صقاغي [الكمة]: [وتظهر فيها الأعراض الآتية]: يصبح جلد الحيوان مثل النار، ويكح، ويضيق التنفس لديها. فإذا ظهرت عليها تلك الأعراض فينبغي فصلها عن غيرها. لأن هذا المرض معد. ويتم علاجها بطحن نبات يسمى عرق الحلاوة، ويوضع في قصب، وينفخ في أنفها.

الصفار: [وأعراضه]: يصبح بياض عيني الدابة وجلدها الداخلي – إذا رفعت شفتها العلوية – أصفر. فإن كان المرض في بدايته يتم فتح جروح في البقع الصفراء تحت شفتها العلوية بالموس، ومن ثم تمسح بالملح والبصل. فإن كان المرض متقدماً فلا تقدر عليه.

شوحار: [وأعراضه]: انقباض الشرايين، وتصلب الأذنين، وانخفاض الصوت. (وهذا المرض يصيب الدابة بعد مرورها بالماء وربطها وهي مُعرقة). ويتم علاجها بدهن جسمها كافة بدهن السمسم، وتدليكها لمدة ساعة، ثم تغطى بغطاء سميك حتى تعرق.

مخمور: يصيب الدابة هذا النوع من المرض بالصيف، لما يقدم لها الشعير أثناء حر الظهر، فتأكل بكميات كبيرة فيصيبها هذا المرض. حيث تتصلب قوائمها الأمامية، إلا أنها تستطيع المشي رويداً رويداً. ويكمن علاجها في ركضها حتى تعرق.

المغص[126]: [وأعراضه]: تقعد الدابة وتقوم كثيراً، وتنظر إلى موقع الوجع. ويكمن علاجه في تذويب قليل من البارود في الماء وإشرابها، ثم تمشيتها وجريها بعد ذلك. فإن بالت الدابة شفيت. وإن لم تجتز المرض، فيتم إخراج الفضلات من مؤخرتها باليد.

داماق [سقف الفم]: و[أعراضه]: لا تنقطع الدابة عن الشعير، إلا أنها أثناء أكلها يسيل لعابها فتبلل الشعير. ويكمن علاج هذا المرض في الكشف على فمها؛ فإن كانت متورمة من الداخل، فينبغي إدخال مسلة أو مزمار فيها، حتى يخرج منها الدم، ثم مسحها بملح ناعم مسحاً جيداً. ويتم القيام بهذه العملية قبل سقيها بأربع ساعات.

الدود: إن كانت الدابة تحمل الدود فإنه يخرج مع فضلاتها. ويكمن العلاج في القيام بغلي شراب التمر، ثم تطعيمها بإبرة في جسمها. وبعد ذلك عجن مقدار كيلو ونصف من الدقيق مع حفنة من الكبريت، وخلطهما بشكل جيد، وتشكيل كرات صغيرة من هذا العجين، وإطعامها كل يوم في الساعة الثانية صباحاً، ولمدة أربعة أيام.

---

(126) المغص يعبر عن مجموعة الآلام التي يشعر بها الحيوان في منطقة البطن. ومصدرها إما علة بقناة الهضم، أو مرض بالكلى أو الحالب، أو المثانة، أو الكبد. إبراهيم نجيب محمود وزميليه – الطب البيطري – القاهرة: دار الفكر العربي، 1978م. ص 175. (المترجم)

الرياح : يتم علاج الدابة من هذا المرض بوضع سمن مغلي في شرجها. وذلك بوضعه في قصب فتح منه عدة فتحات. ويتم إدخال القصب بعد ذلك إلى الشرج بمقدار إصبعين، ورفعه إلى أعلى لإدخال السمن منه. وينبغي قبل القيام بهذه العملية مسح أطراف شرجها وملتقى قوائمها الخلفية بالطين، وكذلك الأماكن التي يقع عليها السمن المغلي. وإن أصيب البغل بهذا المرض فلا يمكن علاجه.

وإذا قشط جلد قوائم الدابة (ويحصل في غالب الأحيان إذا بقيت الدابة على الأماكن التي بها الوحل أو المستنقعات فترة من الوقت بدون نعال). فإنها لا تستطيع وضع القوائم على الأرض كما ينبغي. ويكمن علاجها من هذا المرض بتنظيف قوائمها وقشط الأوساخ من حوافرها، ثم يوضع قليل من الزنجبيل في المكان الذي يبقى فارغاً، ثم يوضع النعال بعد وضع صوف عليه. وينبغي ألا يمس الماء رجليها لمدة أسبوع.

نزول الماء : إذا نزل الماء في أقدام الدابة وتورمت، فإنه يتم كيها. وإذا اصطدمت إحدى قوائمها بالحجارة أو أن الدابة إذا سحبت السكة بقوة، فإن المكان الذي اصطدمت به من جسمها يتجمع فيه الدم. وينبغي تدليكه بالملح والمرهم المعمول من السمن الطبيعي، إلى أن يزول التورم. وإن لم يتم علاجه في الوقت المناسب فإنه يصبح عظماً. وإذا كان هذا العظم قد تشكل على رسغ الدابة فلا ضرر منه. أما إن كان بين العروق فإنه يؤدي إلى العرج.

وإذا تعرضت الدابة للعطش [الشديد] فإنه يؤدي إلى ضعفها. ويتم علاج مثل هذه الدواب التي تصاب بالهزال دون سبب، بتطعيمها عجين الشعير المخلوط بالكبريت الأحمر. وفي الوقت ذاته وضع العجين الحار على بطنها.

وإذا امتنعت الدابة عن التبول أو كان تبولها قليلاً، فيجب أن تسقى عصير الحنة.

وإذا أصيب البغل بسلس البول فيجب إعداد خلطة طحينة [هنا كلمة لم يتضح معناها] مع التمر، وترطيبها بعرق الإنسان، ثم مسح قطعة صغيرة من الصوف بتلك الخلطة ووضعها في رحم البغل. وترك الصوف فيها لمدة أربعة أشهر أو إلى حين حصول الغرض.

وإذا حصل تورم في ركبة الدابة أو في الأكتاف، يتم إعداد خلطة عجينة من دقيق القمح مع الملح المغلي في السمن الطبيعي، ووضعها على الورم.

أصول الحرب لديهم

يتم سوق ما يسمى بـ سبور – وهو الخيال الهجن – مع البغال في الاحتياط قبل اللقاء

بخمس أو ست ساعات، ونوع آخر يطلق عليه فشاش[127]. أما القوات الأخرى فعلى الغالب تبقى في الوسط. وتتم مراقبة الأماكن الحساسة والخطرة قبل اجتيازها. وترسل فرق أخرى للكشف عن العيون والعوارض الطبيعية. وعلى هذا الأساس فإن السبور يقوم بتبليغ المعلومات التي حصل عليها إلى الصفوف الخلفية كلما اقترب من العدو. وأثناء اللقاء يكوّن المشاة صفاً واحداً، ويتموضع الخيالة في الميمن والميسر والجهة الخلفية. وينسحب السبور إلى الخلف، فيهاجم الخيالة الموجودة في الجهتين في هذه الأثناء. ويعقب ذلك هجوم عام، فيصارع كل فرد مقابله من العدو، ويستمر هذا الصراع إلى وقت الغروب بنوع من الشدة.

فإن لم يستطع أحد المصارعين القضاء على خصمه قبل الغروب أجلت المعركة إلى اليوم التالي، وينسحب كلا الفريقين إلى معسكره. وبعد اجتماع مجلس الشورى [أو التحكيم] يتقرر ما إذا كان الفريقان يواصلان المعركة أم لا، فيقيمان في معسكريهما، أو أن أحدهما إذا أحس بضعفه أفاد من ظلام الليل فانسحب من المعركة.

وإذا حصل أن تغلب أحد الطرفين على الآخر، فإن فرار أحد أفراد الطرف المنهزم يعدّ في حكم المستحيل. غير أن العادة الجارية في هذه الحالة أن يقوم الطرف المنهزم بترك الإبل أثناء الفرار على شكل أقساط، حتى ينشغل المتعقبون له بالحصول على الغنيمة، وهو في أثناء ذلك يقطع مسافة جيدة، فينجو بنفسه من الهلاك. وبخاصة إذا علمنا أن النزاع في الغالب بين أفراد القبيلة الواحدة في الحصول على الغنيمة، يكون لصالح أفراد القبيلة المنهزمة بأرواحها.

والتجديون بشكل عام يقتتلون في ساحات القتال. والهجوم في الليل أو النهار جار وشعد حركة الإحاطة بالخصم نادرة. كما أن الهجوم على الخصم الذي يحارب من وراء سور قريته ليس وارداً. فهم لا يعلمون طريقة أخرى غير القيام بإحاطة قرية الخصم وقطع الإمدادات الغذائية عنه، لإجباره على الاستسلام. أما وضع الألغام فليس راسخاً لديهم. وإذا توافرت لدى سكني البلدة المقاتلة المواد الغذائية، فإنهم لا يبالون بالصمود أمام المحاصرين. ويمتد الحصار بذلك فترة طويلة، إلى أن يتسلل الخلل إلى معنوياتهم فيرفعون الحصار. وإذا ما أحس المحاصرون بضعف في صفوف أعدائهم قاموا بالهجوم عليهم لفك الحصار.

---

(127) لعله من الفشوش، وهي النوق التي ينفش لبنها من غير حلب. المعجم الوسيط، مرجع سابق، 2/ 689، مادة (فش). (المترجم)

وفي حال صمود المحاصرين أمام العدو فترة طويلة، يقوم الأخيرون بقطع أشجار النخيل وتعبئة الآبار بالتراب، لإجبار الخصم على الاستسلام. غير أن التجارب أثبتت أن تلك الطريقة تغيظ المحاصَرين، فيصمدون أمام العدو. (فقد تم قطع النخيل في رياض الخبراء والشنانة بأمر من عبد العزيز [بن متعب] بن رشيد، وتعبئة آبارهم بالتراب، فكان ذلك تشجيعاً للأهالي الذين غاظهم ذلك، إلى الصمود أمام المذكور حتى النهاية).

وكانت العادة قديماً في الهجوم على الموجودين خلف أسوار القرى، الموجهين نيران بنادقهم إلى المهاجمين، هي سوق الإبل البيض بقوة، وتسييرها بشدة سيوفهم نحو السور، فإما أن يتهدم السور بتلك القوة، أو أن المهاجمين يتمكنون من فتح ثغرة في السور، فيبدأ بذلك الهجوم العام على القرية، فيتمكنون من الاستيلاء على الموقع.

لكن بالنظر إلى أن سكان نجد اليوم يمتلكون بنادق ذات عيارات متعددة، فإن الهجوم القسري [كما كان الأمر في السابق] يعدّ في حكم المستحيل.

وفي المعارك التي تقع بين القبائل، لا نجاة للفرد الذي قطع أمله من خط الرجعة سوى الصمود أمام الخصم بصبر وثبات حتى النهاية. ويحصل في بعض الأحيان أن تشترك أسر البدو معهم في المعركة، وهم يطلقون على ذلك "مناخ". ويعد من شيم العرب في مثل تلك المعارك ثبات الذكور في وجه العدو وعدم الفرار من المعركة، حتى هلاكهم عن بكرة أبيهم. غير أن هذه العادة العربية الأصيلة أيضاً طرأ عليها اليوم نوع من الخلل.

فمما يفعله البدو قبل بدء المعركة، قيام الطرفين بإركاب أجمل فتياتهم على المركب الذي يطلقون عليها "عماري". وبعد تعيين نحو ثلاثين أو أربعين فدائياً للحفاظ على العماري الواحد في المعركة، يبدأ اللقاء بين الجمعين. فتقوم أولئك الفتيات بتشجيع المحاربين أثناء ذلك بأرفع أصواتهن.

وقبل هلاك فدائي كل عماري، لا يمكن أسرها. فإن كانت إحدى القبائل سلمت عماريها قبل هلاك الفدائيين، فلا يمكنها الخروج بالعماري في معركة أخرى. وقبيلة الروله هي الوحيدة اليوم من بين القبائل، التي تخرج في المعارك بالعماري. حيث فقدت سائر القبائل هذه الصلاحية.

ومع أن أفراد القبائل يستخدمون علامات معينة لمعرفة الصديق من العدو بعد بدء المعركة، كرفع علم القبيلة والصرخة بصيحتها؛ إلا أنه يحصل في بعض الأحيان أن يقاتل صديق أو أخ أشاه. لأنه يستطيع كل طرف تقليد صيحة الطرف الآخر في وقت الشدة، فيصل إلى مبتغاه.

وقبيلة شمر إذا اجتمعت بالكامل تحت راية أمير، فإن عشيرة عبدة والدغيرات تقومان

بتكوين الجناح الأيمن، والأسلم والمتومان وسنجارة بالجناح الأيسر، فيطلق على الجناح الأيمن عبدة، وعلى الجناح الأيسر الصايح. ويعين حضـريو جبل قراس والغبيد والنكور في المركز.

والقبيلة التي تهتم بالنظام أثناء المعركة قد تغلب على عدة قبائل قوامها عدة أضعاف الأولى. ففي المعركة التي جرت في سنة 1296 هـ. بالقرب من بلدة "حي" بسبب تمرد السعدونيين في لواء المنتفق التابع لولاية البصرة، كان عدد أفراد العشائر المجتمعة يتجاوز الاثني عشر ألف نسمة. وكان عدد أفراد الجيش (العثماني) قريباً من ألفي نفر. وكان العمل الذي قامت به العشائر في هذه المعركة وضع الزفت في آذان من نحو ألفين أو ثلاثة آلاف بعير، ثم طلي تلك الآذان بالتراب، وسوقها باتجاه الجيش، وذلك بعد ركوب أحدهم عليه وقيام آخر بدفعها من الخلف بقوة السيف. وفي أثناء الهجوم كان الراكب ينشر التراب في الجو حتى يغطيه غبار كثيف، فيمنع الجيش بذلك من الرؤية. وكان الآخرون يهجمون على الجيش من وراء الإبل. ومع ذلك فقد تمكن الجيش بقيادة عزت باشا – رحمه الله – من دخول مدينة الناصرية، وتخليص الكتيبتين المحصورتين فيها منذ عدة أشهر. وكل ذلك بفضل وجود عزت باشا فيما بين العساكر، وتشجيعه لهم، وثباته في المعركة، وشجاعة الضباط المشاركين فيها، وإدارة المدافع بسرعة ومهارة.

[معركة الجيش العثماني مع السعدونيين]

لقد تحمل عزت باشا مشقة كبيرة في سبيل الحصول على إرادة سنية [مرسوم سلطاني] لتأديب السعدونيين. وكان منصور باشا [آل سعدون] – رئيس هذه العشيرة الذي أطلق على نفسه "سلطان البر" – قد أعلن استقلاله داخل لواء المنتفق، وبدأ بالتعرض للبصرة والعمارة. وكان أشوه ناصر يقوم بإغفال مجلس الوزراء في إستانبول.

ومع أن المعروضات التي كان يرسلها عزت باشا إلى إستانبول، لم تلق قبولاً وأهمية تذكر، إلا أنه استمر في عمله وثباته كقائد عسكري رائع. ولم يكن يبالي بالردود التوبيخية الآتية إليه من إستانبول، مُظهراً سفه قائلاً: "لا قدرة لهم [أي السعدونيين] في الهجوم علينا بالمدافع والبنادق"، ومستمراً في إقناع إستانبول بوجوب تأديب السعدونيين بأدلة أقوى من سابقاتها، وذلك لسلامة البلد والجيش.

ومع طول الاتصالات ازدادت استطالة السعدونيين؛ فقاموا بحصار الكتيبتين الموجودتين في مدينة الناصرية وتعاقدوا مع القبائل المجاورة، وبقيت بذلك ولاية البصرة في خضم نار

مشتعلة. ومر الوقت الذي كان يلائم القيام بحركة عسكرية..

فقام عزت باشا وبتأثير من الشعور الداخلي بتقديم برقية إلى المابين قائلاً: "سيدي: لا يمكن إصلاح شأن منطقة العراق مع وجود نفوذ السعدونيين، وحرص مجلس الوزراء عليها وطمعه فيها." فعملت هذه البرقية الشديدة اللهجة عملها. حيث صدرت الإرادة السنية في البرقية الجوابية على النحو الآتي: "نظراً لما ورد في التقرير الذي أعده رديف باشا، فإن تأديب السعدونيين يحتاج إلى قوة عسكرية، قوامها مائة وخمسون نفراً. والوضع المالي لتوفير متطلبات مثل هذا العدد غير ملائم، ولهذا فإن رأيتم أنكم قادرون بما معكم من عساكر في القيام بهجوم على السعدونيين، بحيث تكونوا مسؤولين عن عواقبها، فلكم ذلك".

فتحرك عزت باشا بما استطاع توفيره من قوة جزئية إلى بلدة "حي" دون المبالاة بتهديد السلطان أو حرارة الموسم الشديدة. وبعد وصوله إليها قدم إليه من لدن منصور باشا [آل سعدون] عن طريق تاجر يهودي ثلاثون ألف ليرة [للرجوع عن رأيه]. إلا أنه لم يتنازل عن رأيه ولم يقبل الهدية؛ بل رد عليه ونصحه بوجوب تقديم خضوعه للدولة. فانتظر الرد عليه ثلاثة أيام وهو في بلدة حي. فاتصل في هذه الأثناء برئيس عشيرة ربيعة. ووُفق في فصله من التحالف الذي عقد مع السعدونيين.

ولما لم يصل إليه الرد في المدة المقررة، تحرك بالقوات العسكرية، وتعرض لهجوم القبائل عليه بعد ثلاث ساعات. [وقد سبقت النتيجة قبل إيراد القصة]..

فهرس الأعلام والقبائل

القبائل والعشائر

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الوديان

فهرس العيون

فهرس القصور والمكتبات

فهرس الآبار

فهرس الجبال

فهرس الكتاب